

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْآخِرَةُ نَجْمُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

«النصص ٨٣»

الشجرة أو عالم الأضواء

بقلم

سعيد عبد العظيم

عمر الله له ولوالديه وللمسلمين

توزيع

مكتبة الفرقان

بحوار معهد إعداد الدعاة

إسكندرية - باكوس



الشجرة

أو

عالم الأضواء

بقلم

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

دار فجر للتراث

تحميل المزيد من الكتب : Buzzframe.com



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

دار فجر للتراث

شبين الكوم - ت : ٣٢٧٢٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٣) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

الشهرة لها بريق ولمعان يكاد يخطف بأبصار الكثيرين من الناس الأمر الذي يجعلهم يتهافتون على مصاحبة المشهورين ومجالستهم والاستماع إليهم وتناقل كلماتهم حتى ولو كانت فاسدة ومؤذية مما ينطوى على خطر عظيم ولذلك قالوا ذلة عالم يضرب بها الطبل وذلك بعكس من لا يؤبه له ولا يلتفت إليه فالمشهورون عادة هم القدوة والأسوة في نظر الناس . وقد أصبحت الشهرة صناعة وحرمة تقوم على أسس وضوابط ويذل في سبيلها الكثير من المال والجهد وهي تتفاوت تفاوتاً عظيماً من مجال لآخر وهذه الشهرة لا تقتصر على الرجال دون النساء ولا على الكبار دون الصغار ولا على الصالحين دون المفسدين

(٣) الأحزاب : ٧٠ : ٧١ .

(٢) النساء : ١ .

(١) آل عمران : ١٠٢ .

فى الأرض فإبليس من أكثر الخلق شهرة ، وهى أيضاً قد تعدت عالم البشر إلى عالم الملائكة الأبرار وعالم الجن والشیاطین ولم تقتصر على الأشخاص وإنما تعدتهم إلى الأماكن والأشیاء كعجائب الدنيا السبعة وغيرها . وحيث إننا نعيش عالماً مادياً افتتن بالزخارف والنقوش والزينة وتباعد عن دين الله وعن المقاييس الحققة فعاش حياة أشبه بالسراب يحسبه الظمان ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، وأصبحت حالة قطاعات كبيرة من البشر كما وصفها رب العزة جل وعلا ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (١) لذا وجب علينا جميعاً أن نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس بل والكون من حولنا وذلك لقوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢) وهذه البصيرة تستلزم العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى والصبر على ذلك كله وقد بايع النبى ﷺ بعض صحابته على النصيح لكل مسلم ، وروى مسلم عن تميم الدارى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة ثلاثاً قلنا لمن يارسول الله قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وهذه الكلمة نصيحة واجبة خصوصاً والشهرة لها سطوة كبيرة على النفوس والناس هنا وهناك يتابعون حياة النجوم - هكذا سموهم - حتى وإن كانوا فسقة وفجرة وأصبحت أسماء الشهرة تباع وتشترى وقد دخلت الشهرة إلى كل ميدان كالعلم والرياضة والفن بأنواعه والسياسة والجمال والمال وكل هذه المجالات لها مشاهيرها الذين يتطلع الناس إليهم يشغف بل ويحاولون السير فى ركبهم واللاحق بهم وإذا كان هذا هو شأن الكثيرين من الناس فالمسلم له شأن آخر فالشهرة وذبوع الصيت لاتصلح ضابطاً وميزاناً عنده للقبول والرفض وهو قد أخضع قوله وفعله ورأيه وهواه ومشاعره لكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ وذلك هو الميزان الذى يجب على الدنيا بأسرها أن تتحاكم إليه والحق مقبول من كل من جاء به كائناً من كان والباطل والشر والفساد مردود على صاحبه أيضاً كائناً من كان ، فالخلق خلقه والعبد عبده والأمر أمره والحلال ما أحل والحرام ما حرم والدين ما شرع قال تعالى

(١) الروم : ٧ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١) وقال سبحانه وتعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢) وقال جل وعلا ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣) ومجرد انتشار الأمر وذيوعه لا يجعل الأمر مقبولاً بالحنمية واللزوم حتى وإن تناقلته الألسنة وصار عرفاً وعادة وأمرأً واقعاً بل حتى وإن رضيه الناس فالرضى بالمنكر منكر كالتراضى الذى يحدث بين الزناة وشاربى الخمر والذين يتعاملون بالربا فكل هذا حرام حتى وإن واقفته الكثرة الكاثرة من الناس فالمسلم الصادق هو الذى يتحاكم لإسلامه فى كل صغيرة وكبيرة بل ويسعى لتحكيمه فى واقعه وواقع الناس فلا يقدم على دين الله قولاً ولا عملاً ولا عرفاً ولا رأياً ولا واقعاً وقد ورد الأمر بطاعة الله ورسوله والتخدير من المخالفة قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٤) وقال سبحانه ﴿وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٥) وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٦) قال الإمام الشافعى فى الرسالة « وشهد له جل ثناؤه باستمساكه بما أمره به والهدى فى نفسه وهداية من اتبعه فقال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرَىٰ مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ، وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٨) وقال ﷺ « تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » رواه أحمد وابن ماجه . وقال فى حجة الوداع اللهم قد بلغت اللهم فاشهد . ولا يخفى على العاقل أن فى أمر الله نبيه باتباع ما أوحى إليه أمراً لنا . أ. هـ وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قال الإمام ابن كثير : وقوله : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى عن أمر

(٢) الجاثية : ١٨ .

(٤) الأحزاب : ٣٦ .

(٦) النساء : ٨٠ .

(٨) النور : ٦٣ .

(١) الملك : ١٤ .

(٣) الأنعام : ١٠٦ .

(٥) النساء : ١٠٣ .

(٧) الشورى : ٢٢ .

رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً أو ظاهراً « أن تصيبهم فتنة » أى فى قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة « أو يصيبهم عذاب أليم » أى فى الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك أ. هـ. والفتنة هنا القتل قاله ابن عباس وقيل الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول ﷺ ولما أتى رجل للإمام مالك رحمه الله فقال يا أبا عبد الله من أين أحرم قال من ذى الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال إني أريد أن أحرم من المسجد (أى من أبعد من الميقات) فقال الإمام لا تفعل فقال الرجل ولما ؟ قال فإننى أخاف عليك الفتنة فقال وأى فتنة هذه إنما هى أميال أزيدها قال الإمام وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ ؟ إني سمعت الله يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١) وقد قال ﷺ « من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى » رواه البخارى وقال أيضاً « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » . فيجب على المسلمين فى أقطار الأرض مشارقتها ومغاربتها أن يردوا حكم ما تنازعوا فيه لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٢) وقد أقسم ربنا جل وعلا قسماً يعرف مضمونه أولوا الأحلام والنهى فقال سبحانه ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) فأقسم سبحانه بنفسه وأضاف اسم الربوبية لرسول الله ﷺ تشريفاً له ثم نفى اسم الإيمان عمن لم يحكم شرع الله وينقد لأمر رسول الله ﷺ فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له

(٢) النساء : ٥٩ .

(١) النور : ٦٣ .

(٣) النساء : ٦٥ .

باطناً وظاهراً ولهذا قال ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً أى إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم فلا يجدون فى أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له فى الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد فى الحديث « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » رواه البغوى فى شرح السنة والنووى فى الأربعين وضعفه الألبانى ومعناه صحيح إذا اتضح ذلك فالواجب علينا أن نحكم هذا الضابط ونتحاكم له فى كل ناحية من نواحي الحياة وزاوية من زواياها سواء تعلقت بالفرد أم بالجماعة وسواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو أخلاقية وسواء أكانت بالمسجد أم بالسوق ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (١) بل هذا أيضاً هو ضابطنا فى الحكم على المشاعر والأحاسيس والعواطف والوجدانات . وفى ضوء هذا الميزان سنميز بين الغث والسمين وبين ما هو نافع أو ضار وبين ما هو مقبول من الشهرة وما يذم منها . ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم وأن يثيبنا عليه جنات النعيم مع الذين أنعم عليهم من النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . فاللهم احملنا على فضلك وعاملنا بلطفك وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) مريم : ٦٤ .

الشهرة ومشتقاتها

الشهرة معناها الانتشار والظهور وهى ضد الاستتار والإخفاء قال فى المصباح المنير وشهرت الحديث شهراً وشهرة أفشيته فاشتهر . وقال فى مختار الصحاح الشهرة وضوح الأمر ويقال لفلان فضيلة اشتهرها الناس ويكثر على ألسنة الناس قولهم « فلان أشهر من نار على علم » ويقولون فلان شهر بفلان إذا أشاع عليه قالة السوء ونسب النقائص له ، وقيل عن الشهر شهراً لاشتهاره بين الناس قال شيخ الإسلام ابن تيمية « فالشهر ما اشتهر بين الناس وسمى به الهلال لوضوحه وشهرته . وجمعه شهور وأشهر قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ (١) وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ عَدَّةُ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (٢) وهذه الأشهر الأربعة هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم . وأشهرنا أى أتى علينا شهر قال ابن السكيت أشهرنا فى هذا المكان أقمنا فيه شهراً وقال ثعلب أشهرنا دخلنا فى الشهر ومن شروط صحة عقد الزواج الإشهار ويقصد به الإعلان بحيث يخرج عن أن يكون نكاح سر ويكفى هذا عند مالك وأصحابه وقد اشترط الشافعى وأبو حنيفة شهادة الرجلين على الزواج فصاعداً وإلا ففسخ العقد ويخرج بذلك أيضاً عن حد السر ويشتهر أمر الزواج وفى كتاب تلبس إبليس : أن ابن عمر رأى على ولده ثوبا قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا فإن هذا الثوب شهرة . ونقل عن بريدة أنه قال شهدت مع رسول الله فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلثة فقال حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر فما علمت أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة . وقال سفيان الثورى كانوا

(٢) البقرة : ٣٦ .

(١) البقرة : ١٩٧ .

يكرهون الشهرة الثياب الجياد التي يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التي يحتقر فيها ويستذل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تشميره . فصل قال المصنف وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيد ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً وقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب أنه رأى حلة سفيراء تباع عند باب المسجد فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجميل بها وإنما أنكر عليه لكونها حريراً أ . هـ . أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً « من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة » وفي رواية « ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله - وزاد أبو عوانة ثم تلهب فيه النار » قال ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه ليس ثوب شهرة في الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره فيلبسه الله يوم القيامة ثوباً تستهتر به مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل أ . هـ . والإنسان قد يشتهر بحيث يتميز على أقرانه ويسبق أمثاله مما يؤدي لظهور أمره وانتشاره وهذا قد يحدث بصفة خلقية أودعها الله فيه كالقوة والطول والجمال أو بأمر كسبي كآساليب الغش والخداع السياسي والمعاني التي يشتهر بها الناس منها ما هو صالح ومنها ما هو قبيح .

السبق والمنافسة

المنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة والذى يدل على مشروعتها قوله تعالى ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ وقال تعالى ﴿ سابعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدین يتسابقان إلى خدمة مولاها إذ يجزى كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولا بمنزلة لا يحظى هو بها . والمنافسة قد تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال الفضل بن العباس لما أراد هو والمطلب بن ربيعة أن يأتيا النبي ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة فقال لهما على رضى الله عنه لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقال له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك (رواه مسلم) أى هذا منك حسد ومحسدناك على تزويجه إياك وفى الحديث لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس « متفق عليه . وفى حديث أبى كبشة الأمارى قال « مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالا فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء » رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح - فذمه النبي ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وإن كانت من الفضائل كإنفاق المال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة . والحسد المشروع كما فى الحديث « لا حسد إلا فى اثنتين ، يطلق عليه اسم الغبطة إذ ليس فيه تمنى زوال النعمة ولا كراهتها ويرجع إلى إرادة المساواة والحق به فى النعمة كمن يحب الدار الحسنة أو المرأة الجميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره « والسبق يحدث فى معنى يتعلق بالصفات أو الزمان أو المكان فقد يحدث فى علم أو سن أو مكانة أو رياضة

ويقول النبي ﷺ « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » والمراد من السبق في الحديث هنا ما يوضع رهناً ويأخذه الفائز في سباق أو رماية وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية أو بعض الأفراد المحسنين وذلك ليخلو من كل شبهة ويتمحض للتشجيع الخالص الذي لا يراد به إلا الترغيب في الإعداد للجهاد . وفي الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية « ويجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مغرة وظاهر كلام أبي العباس لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهى عنه وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعى فكله حرام وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم « أن عائشة رضى الله عنها وجوار كنَّ معها يلعبن بالبنات - وهن اللعب والنبي ﷺ يراهن - فيرخص فيه للصغار مالا يرخص فيه للكبار . والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذا قصد به نصر الإسلام وأخذ السبق عليه أخذ بالحق فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما ينتفع به في الدين كما في مراهنه أبي بكر رضى الله عنه وهو أحد الوجهين في المذهب قلت وظاهر ذلك : جواز الرهان في العلم وفاقاً للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم والله أعلم . ١٠ هـ .

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ (١)

قال أبو منصور البغدادى التميمي : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقيون إلى تمام العشرة ثم البديريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية وقال القرطبي في تفسيره « لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق قال ابن العربي : السبق يكون بثلاثة أشياء الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله ﷺ في الصحيح « نحن الآخرون الأولون يبدأنهم أوتوا الكاب من قبلنا وأوتيتنا من بعدنا فهذا يومهم الذي

(١) التوبة : ١٠٠ .

اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد » فأخبر النبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والإحتمال لوظائفه لا نعترض عليه ولا نختار معه ولا نبدل بالرأى شريعته كما فعل أهل الكتاب وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.. ثم نقل عن ابن خويز منداد قال : « تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة في علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك في العطاء في المال والرتبة في الإكرام وفي هذه المسألة خلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما واختلف العلماء في تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم فروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان لا يفضل بين الناس في العطاء بعضهم على بعض بحسب السابقة وكان عمر يقول له أتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له ؟ فقال أبو بكر : إنما عملوا لله وأجرهم عليه وكان عمر يفضل في خلافته ثم قال عند وفاته لئن عشت إلى غد لألحق أسفل الناس بأعلاهم فمات من ليلته والخلاف إلى يومنا هذا على هذا الخلاف . هـ .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

وهذا الحديث الذي رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ يرد على شبهة قوية تتعلق بالأخوة الإيمانية وتحقيقها ونحتاج في ذات الوقت إلى الجمع بينه وبين ما ذكرناه عن السابق والمنافسة ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من المحامد الدينية والدينية ويكره له ما يكره لنفسه قال عبد الله بن رواحة وأبو الدرداء الإيمان كالقميص يلبسه الإنسان تارة ويخلعه تارة أخرى وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه وفيه أيضا عن أبي ذر رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر إنى أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لاتتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم » وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك

وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم وكان محمد ابن واسع يبيع حماراً له فقال له رجل أترضاه لى ؟ قال لو رضىته لم أبعه. وهذه إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه وفى حديث النعمان بن بشير رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « مثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحصى والسهر » خرجاه فى الصحيحين « قال ابن رجب » وهذا يدل على أن المؤمن يسوء ما يسوء أخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه وحديث أنس الذى تتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد فإن الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد فى خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم والإيمان يقتضى خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شىء وقد مدح الله تعالى فى كتابه من لا يريد العلو فى الأرض ولا الفساد فقال ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ (١) إلى أن قال عكرمة وغيره من المفسرين فى هذه الآية : العلو فى الأرض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذى سلطانها والفساد والعمل بالمعاصى ثم قال وقد ورد ما يدل على أنه لا يأتى من كره أن يفوقه من الناس أحد فى الجمال فخرج الإمام أحمد رحمه الله والحاكم فى صحيحه من حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال « أتيت النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوى فأدركته وهو يقول « يا رسول الله قد قسم لى من الجمال ما ترى فما أحب أحداً من الناس فضلتى بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغى ؟ فقال لا ليس ذلك بالبغى ولكن البغى من بطر أو قال سفه الحق وغمط الناس » قال « ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل ما جاء به وإن كان صغيراً فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاضماً عليه فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر إلى النفس

(١) القصص : ٨٣ .

بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصي الله مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار . وأما قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^(١) فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمنى الرجل نفس ما أعطى أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه وفسر بتمنى ما هو ممتنع شرعاً أو قدراً كتمنى النساء أن يكن رجالاً أو يكون لهن مثل مال الرجال من الفضائل الدينية كالجهاد والدينية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية تشمل ذلك كله ومع هذا كله فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية ولهذا أمر أن ينظر في الدين إلى من هو فوقه وأن يناقش في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان . هـ .

(١) النساء : ٣٢ .

(١) المطففين : ٢٦ .

بعض صور الشهرة

أولاً : الشهرة بالعلم والصلاح

أودع ربنا جل وعلا في العباد عقولاً وركب فيهم فطراً ولم يكتف سبحانه بذلك بل أنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ليحيى من حيى عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة وقد قام الصراع منذ اليوم الأول الذى خلق فيه آدم بين آدم وإبليس من جهة ثم بين بنى آدم وبين إبليس بعد ذلك من جهة أخرى وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (١) وافترق العباد إلى مؤمن وكافر وقد قام بإزاء الطريق المستقيم الذى سار فيه الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحين جاهليات كثيرة ومتنوعة وكلها تلتقى فى الكفر برب العالمين والمخالفة لهذا الصراط المستقيم ولذلك خطب النبي ﷺ خطأً وخطأً عن يمينه وشماله خطوطاً وأشار للخط الذى فى الوسط وقال هذا الصراط المستقيم وللخطوط التى عن اليمين والشمال وقال هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢) واقتضت حكمة الله جل وعلا أن يحدث تدافع وأن يتم صراع بين الحق والباطل قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (٣) وقال ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهْجَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤) وكتب سبحانه النصر لعباده المؤمنين فقال ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

(١) الحج : ٤٠ .

(١) البقرة : ٢٥١ .

(١) الأنعام : ١٥٣ .

(١) فاطر : ٦ .

يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿١﴾ وَقَالَ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَاغْلِبَنَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ ﴿٢﴾ وَقَالَ أَيْضًا ﴿وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ وَقَدْ ابْتَدَأَتْ الْبَشَرِيَّةُ بِنَبِيِّ مَكْلَمٍ فَلَمْ تَتَطَوَّرْ الْعَقِيدَةُ وَالْدِّينَ الَّذِي ارْتَضَاهُ رَبُّنَا
لِلْعَالَمِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّى قِيَامِ السَّاعَةِ هُوَ الْإِسْلَامُ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، وَمَنْ
يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ وَمُرْتَبَةُ النَّبُوَّةِ
الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا آدَمُ هِيَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْهَدَايَةِ وَقَدْ أَوْصَلَهَا الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ إِلَى عَشْرِ
مَرَاتِبٍ .

(١) غافر : ٥١ .

(٢) المجادلة : ٢١ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

مراتب الهداية

المرتبة الأولى :

مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه وهذه أعلى مراتبها كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال الله تعالى ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١) وقد أخبر سبحانه في كتابه أنه ناداه وناجاه وقال له أبوه آدم في محاجته « أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده . وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه ولذلك يسمى « بكليم الرحمن » وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٢) ففرق بين تكليم الوحي والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية :

مرتبة الوحي المختص بالأنبياء قال الله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ (٣) وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ فجعل الوحي فى هذه الآية قسماً من أقسام التكليم وجعله فى آية النساء قسيماً للتكليم (أى نظيراً له) .

المرتبة الثالثة :

إرسال الرسول الملكى إلى الرسول البشرى فيوحى إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه . فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم ثم هذا الرسول الملكى قد يتمثل للرسول البشرى رجلاً يراه عياناً ويخاطبه وقد يراه على صورته التى خلق عليها

(٢) الشورى : ٥١ .

(١) النساء (١٦٤) .

(٣) النساء : ١٦٣ .

وقد يدخل فيه الملك ويوحى إليه ما يوحى به ثم يفصم عنه أى يقلع والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة:

مرتبة التحديث (أى الإلهام الخاص) وهذه دون مرتبة الوحي الخاص وتكون دون مرتبة الصديقين كما كانت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه كما قال النبي ﷺ . أنه كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى هذه الأمة فعمر بن الخطاب . قال ابن القيم « وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون فى الأمم قبلنا وعلق وجودهم فى هذه الأمة بأن الشرطية مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ولا صاحب كشف ولا منام فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها . والمحدث (بتشديد وفتح الدال . إسم مفعول) هو الذى يحدث فى سره وقلبه بالشئ فيكون كما يحدث به قال ابن تيمية والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صديقته ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عما فيه (أى عن الإلهام النفسى الذاتى) قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول فإن وافقه قبله وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثنى قلبى عن ربى : فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عن من ؟ عن شيطانه أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثنى قلبى عن ربى كان مسنداً الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به وذلك كذب . وقال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يوماً من الدهر وقد أعاده الله من أن يقول ذلك بل كتب كاتبه يوماً « هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال لا . امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر والله ورسوله منه برىء » وقال فى الكلاله (هو الميت الذى لا والد له ولا ولد) « أقول فيها برأى فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان » فهذا قول المحدث بشهادة الرسول وأنت ترى الاتحادى والحلولى

والإباحي الشطاح والسماعي : مجاهر بالقحة والفرية يقول : حدثني قلبي عن ربي فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين . واعط كل ذي حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئاً واحداً هـ .

المرتبة الخامسة :

مرتبة الإفهام قال الله تعالى ﴿ وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً ﴾ (١) فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم والحكم وخص سليمان بالفهم في هذه الواقعة المعينة وقال علي بن أبي طالب وقد سئل « هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتیه الله عبداً في كتابه وما في هذه الصحيفة وكان فيها العقل وهو الديات وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وفي كتاب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضى الله عنهما والفهم فيما أوتى إليك « فالفهم نعمة من الله على عبده ونور يقذفه الله في قلبه يعرف به ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع استوائهما في حفظه وفهم أصل معناه فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ (٢) وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعى الله سبحانه نبيه إلى نفسه وإعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرهما من الصحابة وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سناً وأين تجد في هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تنقاصر عنها أفهام أكثر الناس فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص في حقه وأما في حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

(٢) النصر : ١ .

(١) الأنبياء : ٧٨ .

المرتبة السادسة:

مرتبة البيان العام وهو تبين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهد وأعلامه وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضلّه إلا بعد وصوله إليها قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ (١) فهذا الإضلال عقوبة منه لهم حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى وما أضل الله سبحانه أحداً قط إلا بعد هذا البيان وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضلّه من عباده والقرآن يصرح بهذا في غير موضع كقوله ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (٢) وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة وبيان بالآيات المشهودة المرئية وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به عنه ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكير في آياته المشهودة عليهم ويحضهم على التفكير في هذه وهذه . وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم وبعد ذلك يضل الله من يشاء قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣) فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة:

البيان الخاص : وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتناء وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة قال تعالى : ﴿إِنْ تَحَرَّصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ وقال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٤) .

(٢) الصف : ٥٠ .

(١) التوبة : ١١٥ .

(٤) القصص : ٥٦ .

(٣) إبراهيم : ٤ .

المرتبة الثامنة:

مرتبة الإسماع : قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ (١) وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (٢) وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ فإن ذلك حاصل لهم وبه قامت الحجة عليهم لكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب . فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذى هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذى هو حظ الأذن فى قوله ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٌ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ ﴾ (٣) وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه أو تمكنه منها وأما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإغراضه بل يخرج السامع قائلاً للحاضر معه ﴿ ماذا قال آنفا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾ (٤) والسماع ثلاث مراتب : سماع الآذن وسماع القلب وسماع القبول والإجابة .

المرتبة التاسعة:

مرتبة الإلهام : قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ (٥) وقال النبى ﷺ لحصين بن الخزاعى لما أسلم « قل : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شبر نفسى » قال ابن القيم : التحديث أخص من الإلهام : عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذى حصل له به الإيمان فأما التحديث فالنبى ﷺ قال فيه « إن يكن فى هذه الأمة أحد فعمر » يعنى من المحدثين فالتحديث هو إلهام خاص وهو الوحى إلى غير الأنبياء . أما من المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٦) وقوله ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي ﴾ (٧) وأما من غير المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا

(٢) فاطر : ٢٢ - ٢٣ .

(٤) محمد : ١٦ .

(٦) القصص : ٧ .

(١) الأنفال : ٢٣ .

(٣) الأنبياء : ٢ .

(٥) الشمس : ٧ - ٨ .

(٧) المائدة : ١١١ .

يعرشون ﴿١﴾ فهذا كله وحى إلهام وكل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر وعام كل واحد قد يقع كثيراً وخاصه قد يقع نادراً والفراسة تتعلق بنوع الكسب والتحصيل (أى بتعليم وتدريب وخبرة) وأما الإلهام فهو هبة مجردة (أى هبة من الله تعالى) لا تنال بكسب البتة .

المرتبة العاشرة :

من مراتب الهداية : الرؤيا الصالحة وهى من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة « وفى رواية أنها جزء من سبعين جزءاً . ا.هـ . باختصار من كلام ابن القيم .

أسماء الأنبياء والرسل مرتبة حسب تواريخ نزولهم

أول الأنبياء آدم ثم إدريس ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ثم ولداه إسماعيل وإسحاق ولوط ابن أخى إبراهيم ثم يعقوب بن إسحق ثم يوسف بن يعقوب ثم موسى وهارون ثم إلياس من ذرية هارون وشعيب فى قول كثير من المفسرين كان معاصراً لموسى وهو صهره ثم داود وسليمان ابنه ثم زكريا ثم ابنه يحيى وابن خالته عيسى ، أما أيوب فهو من بنى إسرائيل واختلف فيه هل كان قبل موسى أو بعده على قولين واليسع من بنى إسرائيل أيضاً وقيل هو إلياس نفسه وذو الكفل من بنى إسرائيل خلف اليسع بعد موته واختلف فيه فقيل كان نبياً وقيل كان صالحاً وليس بنبى وأما يونس فلا يعرف عنه أكثر من أنه يونس بن متى وأن الله أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل ولا يعرف تاريخه بالضبط إلا أن الحافظ ابن حجر قال فى شرح البخارى : يقال أنه كان فى زمان ملوك الطوائف من الفرس وملوك الطوائف كانوا قبيل إبراهيم ومن اختلف فى نبوته الخضر ومريم والصحيح أن الخضر كان نبيا لقوله تعالى ﴿ وما فعلته عن أمرى ﴾ أما مريم فليست بنبية إذ النبوة لا تكون إلا فى الرجال ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً ﴾ .

ثم من هؤلاء من كان نبياً ملكاً كداود وسليمان ومنهم من كان عبداً رسولاً كمحمد ﷺ . وسليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أحد الذين امتلكوا الدنيا فقد دعا ربه وقال ﴿ ربّ هب لى ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب ﴾ وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران . والمؤمنان سليمان وذو القرنين المذكور فى سورة الكهف وهو عبد صالح طاف المشارق والمغارب وهو غير الإسكندر المقدونى (الذى بنى الأسكندرية) فقد كان كافراً من عباد الشمس والكافران يختصر والنمرود .

الفرق بين النبى والرسول

قال صاحب شرح الطحاوية وقد ذكروا فروقاً بين النبى والرسول وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو رسول وليس بنبى فالرسول أخص من النبى

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه وخصوصاً محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (١) وقال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢) ١. هـ .

تفاوت العباد في مراتب الفضل

قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٣) وقال سبحانه ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ (٤) وأفضل الناس هم الرسل ثم الأنبياء ثم العلماء والصالحين وأفضل الرسل أولو العزم وهم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ وهو خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين قال تعالى ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (٥) وقال ﷺ « مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيرون سواها فكنت أنا سدوت موضع تلك اللبنة ختم بى البنيان وختم بى الرسل » نحوه فى الصحيحين . وقال ﷺ « إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى يمحو الله بى الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب والعاقب الذى ليس بعده نبي » رواه الشيخان وفى صحيح مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ إنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لانبي بعدى » وعند مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون » وقال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد

(٣) البقرة : ٢٥٣ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(١) آل عمران : ١٦٤ .

(٥) الأحزاب : ٤٠ .

(٤) الحج : ٧٥ .

آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع» رواه مسلم . وقال أيضاً إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم» رواه مسلم وقال «إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً» رواه مسلم وقال «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله» رواه مسلم . وإذا كان رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فكل دعوى النبوة بعده فغى وهوى ولذلك وجب الحذر من طوائف الضلالة كالقاديانية والبهائية التي انحرفت عن منهج الإسلام وادعت النبوة في غلام أحمد وغيره - بل تعدت رسالة النبي ﷺ إلى الجن فهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء كما قال الطحاوى . قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمْعًا ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمْعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ، قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ... ﴾ (٣) .

فالجن لما تنادى قالت أنزل من بعد موسى ولم تقل أنزل من بعد عيسى ومعلوم أن عيسى كان قبل رسول الله ﷺ والسبب في ذلك أن التوراة شريعة مستقلة كالقرآن والإنجيل عبارة عن بعض الأحكام والأخلاق المكملة للتوراة ولذلك فالتوراة هي الأصل عند أهل الكتاب وهي التي يطلق عليها إسم العهد القديم .

(٢) الأعراف : ١٥٨ .

(١) سبأ : ٢٨ .

(٣) الأحقاف : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ .

وجوب دخول اليهود والنصارى والناس كافة فى دين الإسلام .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (١) ويقول سبحانه ﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٢) فدين الأنبياء واحد لم يتعدد من لدن آدم حتى قيام الساعة والإسلام هو الدين الذى ارتضاه ربنا للعالمين وإنما تعددت فقط شرائع الأنبياء وشرعية الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع ونحن نؤمن بجميع الكتب المنزلة كما نؤمن أيضاً بأنبياء ورسول الله وهذه أركان من أركان الإيمان ومن بين الكتب صحف إبراهيم وزبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى والقرآن الذى أنزله الله على نبيه ﷺ يقول الدكتور عمر الأشقر فى كتابه العقيدة فى الله « العقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لا بد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان : الأول : يمثل العقيدة الصحيحة وهى تلك العقائد التى جاءت بها الرسل الكرام فى أى زمان ومكان وهى عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير ولا يتصور أن تختلف من رسول إلى رسول ومن زمان إلى زمان - والقسم الثانى يشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددتها وفسادها ناشئ من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكرهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادهما كان من هذا التحريف وإن كانت العقيدة سليمة فى الأصل والعقيدة الصحيحة اليوم لا توجد إلا فى الإسلام لأنه الدين المحفوظ الذى تكفل الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٣) والعقائد فى غير الإسلام وإن كان فى بعضها تنف من الحق فإنها لا تمثل الحق ولا تجليه فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها فى اليهودية ولا فى

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(١) آل عمران : ١٩ .

(٣) الحجر : ٩ .

النصرانية ولا في كلام الفلاسفة وإنما يجدها في الإسلام في أصله : الكتاب والسنة ندية
 طرية صافية مشرقة تنفع العقل بالحجة والبرهان وتملأ القلب إيماناً و يقيناً ونورا و حياة
 ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) . هـ .
 قال ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر
 وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت
 لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة
 وبعث إلى الناس عامة » أخرجاه فى الصحيحين وقال أيضاً « لا يسمع بى رجل من هذه
 الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار » رواه مسلم بنحوه فكون النبي
 ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة وأما قول بعض النصارى إنه
 رسول إلى العرب خاصة : فظاهر البطلان فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه فى
 كل ما يخبر به وقد قال أنه رسول الله إلى الناس عامة والرسول لا يكذب فلزم تصديقه
 حتما فقد أرسل رسله وبعث كتبه فى أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشى
 والمقوقس وسائر ملوك الأطراف يدعو إلى الإسلام .

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (٢) .

قال القرطبى فى تفسيره قال مجاهد يعنى بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ	من الله مشهودٌ يلوح ويُشهدُ
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه	إذا قال فى الخمس المؤذن أشهدُ

وروى عن الضحاك عن ابن عباس قال يقول له لا ذكرتُ إلا ذكرتُ معنى فى
 الأذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق
 ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفى خطبة النكاح وفى مشارق الأرض
 ومغربها ولو أن رجلا عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شىء ولم يشهد أن

(٢) الشرح : ٤٠ .

(١) الشورى : ٥٢ .

محمداً رسول الله لم ينتفع بشيء وكان كافراً وقيل : أى أعلينا ذكرك فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة فى السماء وفى الأرض عند المؤمنين ونرفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات ا . هـ . قال الإمام ابن كثير فى كتاب شمائل الرسول « وقد وجدت البشارات به ﷺ فى الكتب المتقدمة وهى أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر . وقد قدمنا قبل مولده عليه السلام طرفاً صالحاً من ذلك وقررنا فى كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة ونحن نورد هاهنا شيئاً مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ويتدينون بتلاوتها مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً من آمن منهم واطلع على ذلك من كتبهم التى بأيديهم . فراجعه إن شئت ومن بين البشارات التى ذكرها الإمام : فى صحف إلياس عليه السلام « أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم عم الذين يملكون حصونكم العظيمة فقالوا : يابى الله فما الذى يكون معبودهم ؟ فقال يعظمون رب العزة فوق كل رابية عالية » ومن صحف حزقيل « إن عبدى خيرتى أنزل عليه وحيى يظهر فى الأمم عدلى اخترته واصطفيته لنفسى وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة » ومن كتاب النبوات « إن نبيا من الأنبياء مر بالمدينة فأضافه بنو قريظة والنضير فلما رآهم بكى فقالوا له : ما الذى يبكىك يا نبي الله ؟ فقال « نبي يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ويسبى حريمكم قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم » - وفى صحف أرميا « كوكب ظهر من الجنوب أشعته ضوا عسق سهامه خوارق دكت له الجبال » وهذا المراد به محمد ﷺ . وفى الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : « إني مرتق إلى جنات العلى ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شيء ولم يقل شيئاً من تلقاء نفسه » والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِيهِ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (١) . ثم قال : « وهذا باب متسع ولو تقصينا جميع ما ذكره الناس لطال هذا الفصل جداً وقد أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدى بها من نور الله بصيرته وهدها إلى صراطه المستقيم وأهمل من هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم

(١) الصف : ٦٦ .

وأخبارهم وهم مع ذلك يتكاثرونها ويخفونها » . ١ هـ . يقول توماس كارليل المؤرخ الإنجليزي وهو يتحدث عن العرب وكيف أخرجهم الله بالإسلام من الظلمات إلى النور وتحولوا به من أمة هامدة لا يسمع لها صوت ولا تحس بها حركة يقول « فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فإذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعفة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً وعم نوره أنحاء العالم وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل في الهند ورجل في الأندلس وأشرقت دولة الإسلام حقبة عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبيل والمروءة والنجدة وخيم الحق والهدى على نصف المعمورة .

فأنت ترى كيف أن الله تعالى هو الذي تولى رفع ذكر نبيه ﷺ في اللوح المحفوظ حين قدر سبحانه أن تمر القرون وتكر الأجيال وملايين الشفاعة في كل مكان تهتف بهذا الاسم الكريم مع الصلاة والتسليم بل ويقدم المؤمن محبة النبي ﷺ على محبته للوالد والولد والمال والأهل والتجارة . وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهي الرفيع وكان مجرد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذكر لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد في هذا الوجود . قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وكما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه .

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

دعوات نبوية تتعلق برفع الذكر

في صحيح الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ « هذا ما سأل محمد ﷺ ربه » اللهم إني أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات وثبتني وثقل موازيني وحقق إيماني وارفع درجاتي وتقبل خيري وخواتمي وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين ، اللهم إني أسألك خير ما أتى وخير ما أفعل وخير ما يطن وخير ما ظهر ، اللهم إني أسألك أن ترفع

ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبى وتحصن فرجى وتنور لى قلبى وتغفر لى
 ذنبى وأسألك أن تبارك لى فى نفسى وفى سمعى وفى بصرى وفى روحى وفى خلقى
 وفى خلقى وفى أهلى وفى محيائى وفى مماتى وفى عملى وتقبل حسناتى وأسألك
 الدرجات العلى من الجنة آمين» وفيه أيضاً عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو
 بهذا الدعاء «اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم
 وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأسألك الجنة وما قرب
 إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من
 خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته
 رشداً». وفيه أيضاً عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له «إنى
 أريد أن أمنحك كلمات تسألن الرحمن وترغب إليه فيهن وتدعو بهن فى الليل والنهار :
 قل اللهم إنى أسألك صحة فى إيمان وإيماناً فى حسن خلق ونجاحاً يتبعه فلاح ورحمة منك
 وعافية ومغفرة منك ورضواناً». وفيه أيضاً عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان من
 دعاء رسول الله ﷺ «اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من
 كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار». وفيه أيضاً عن رسول
 الله ﷺ أنه قال «اللهم احفظنى بالإسلام قائماً واحفظنى بالإسلام قاعدا واحفظنى
 بالإسلام راقداً ولا تشمت بى عدواً ولا حاسداً اللهم إنى أسألك من خير خزائنه بيدك
 وأعوذ بك من شر خزائنه بيدك» فسل الله من فضله وتضرع لجنابه سبحانه وألح
 عليه بالدعاء فإن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِى
 أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١) وقال تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ
 دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لى وَلْيُؤْمِنُوا بى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢) واعلم أن الله
 يحب الملحين فى الدعاء فالحمد لله حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما
 ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء أرضه وملء ما شاء من شيء بعد حمداً
 يوافى نعمه ويكافى مزيده وصلى الله على نبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من
 بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج الناس من

(٢) البقرة : ١٨٦ .

(١) غافر : ٦٠ .

الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذى بعثه للإيمان مناديا وإلى الصراط المستقيم هادياً وإلى جنات النعيم داعياً وبكل المعروف آمراً وعن المنكر ناهياً فأحيا به القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها وألف بينها بعد شتاتها فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد فى الله حق جهاده حتى عبد الله وحده لا شريك له وسارت دعوته سيرة الشمس فى الأفطار وبلغ دينه الذى ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه وسلم تسليماً .

عالم الملائكة الأبرار

وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة ﴿بأيدي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾^(١) خلقهم ربنا من نور وعندهم المقدرة على التشكل وهم لا يأكلون ولا يشربون وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم لا يملون ولا يتعبون وهم يموتون ولهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٢) وقال في جبريل ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾^(٣) وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر ففي صحيح البخاري عن رفاعة بن رافع: «أن جبريل جاء النبي ﷺ فقال: ما تعدون من شهد بدرأ فيكم؟ قلت: خيارنا قال: وكذلك من شهد بدرأ من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة» والملائكة لا توصف بالذكورة أو الأنوثة ولهم وظائف كثيرة يقومون بها بأمر الله ولديهم سرعات عظيمة وهم منظمون في كل شؤونهم وفي ذلك يقول النبي ﷺ «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟ قالوا وكيف يصفون عند ربهم؟ قال يكملون الصف الأول فالأول يتراصون في الصف» رواه الجماعة إلا البخاري وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة رواه مسلم. ومن أسماء الملائكة المعروفة والمشهورة:

(١) جبريل وهو ملك الوحي وهو أعظم الملائكة مكانة وقدرا قال تعالى في وصفه ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾^(٤) والمراد بالرسول الكريم هنا جبريل وذو العرش رب العزة سبحانه وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال «قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل (ال أشياء المختلفة الألوان من الدر والياواقيت) قال ابن كثير إسناده جيد. وجبريل هو الروح الأمين وهو الذي أرسله الله

(٢) الصفات : ١٦٤ .

(١) عبس : ١٥ .

(٣) (٤٤) التكوين : ١٩ - ٢١ .

إلى مريم ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ وهو المذكور في قوله تعالى ﴿ تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ قال تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لَجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١).

(٢) ميكائيل . وهو الملك الموكل بالقطر (المطر) ويسمى أيضاً ميكال .

(٣) إسرافيل وهو الذى ينفخ فى الصور وكان النبى ﷺ إذا استقيظ من الليل قال فى دعائه « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق يا ذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

(٤) مالك وهو خازن النار ﴿ وَنَادَا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُونٌ ﴾ (٢).

(٥) رضوان خازن الجنة .

(٦) منكر ونكير وقد استفاض فى الأحاديث ذكرهما فى سؤال القبر .

(٧) هاروت وماروت المذكوران فى قوله تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْ عَلَى الْمَلَكِينَ بَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ (٣) .

(٨) عزرائيل ولا يصح تسمية ملك الموت بذلك والتسمية بعزرائيل وإن كانت مستفيضة على السنة الناس إلا أنها لم ترد فى كتاب أو سنة صحيحة

المفاضلة بين الملائكة والبشر

ذهب شيخ الإسلام إلى أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلا وحياهم الرحمن وخصهم

(٢) الزخرف : ٧٧ .

(١) البقرة : ٩٧ - ٩٨ .

(٣) البقرة : ١٠٢ .

بمزيد قربه وتجلي لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم وقامت الملائكة فى خدمتهم بإذن ربهم . والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن فى الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون فى عبادة الرب ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر قال ابن القيم : وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه والله أعلم بالصواب (راجع كتاب عالم الملائكة الأبرار د . عمر الأشقر) .

أنواع العلوم

بلغت العلوم من الكثرة حداً وصل به بعضهم إلى ستين علماً ومن الممكن أن نصنفها إلى المجموعات الثلاث التالية :

(١) العلوم الشرعية (٢) العلوم الكونية (٣) العلوم الرياضية

وهذه العلوم منها ما هو واجب عيني أو كفائي ومنها ما هو جائز ومنها ما هو محرم .

أولا العلوم الشرعية :

قال ابن قدامة رحمه الله ، أما العلوم الشرعية فكلها محمودة وتنقسم إلى أصول وفروع ومقدمات ومتممات .

فالأصول : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وآثار الصحابة .

والفروع : ما فهم من هذه الأصول من معانٍ تنبّهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ غيره كما فهم من قوله « لا يقض القاضى وهو غضبان » متفق عليه . أنه لا يقضى جائعاً .

والمقدمات : هى التى تجرى مجرى الآلات كعلم النحو واللغة فإنها آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

والمتممات : كعلم القراءات ومخارج الحروف وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة . هـ

وقد قسم بعض الجهلة مسائل العلوم إلى قشر ولباب وقسمت الصوفية مسائل الدين إلى علم الظاهر وعلم الباطن أو علم الحقيقة والشريعة على طريقتهم المخترعة والمبتدعة ثم وصفوا أنفسهم بأنهم علماء الحقيقة وأن بقية علماء الأمة هم أهل الشريعة فما أقبح زعم الصوفية . وقد اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية على تقسيم الدين إلى أصول وفروع فقال

« وأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو تفريق متناقض فإنه يقال لمن فرق بين النوعين ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطيء فيها؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع؟ فإن قال مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل قيل له: فتنازع الناس في محمد ﷺ هل رأى ربه أم لا؟ وفي أن عثمان أفضل من علي؟ وفي كثير من معاني القرآن، وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية ولا كفر فيها بالاتفاق، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل قطعية وكثير من مسائل العلم ليست قطعية وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له كمن سمع النص من رسول الله ﷺ وتيقن مراده منه وعند رجل لا تكون ظنية فضلاً عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه، أو لعدم ثبوته عنده أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته. هـ. وقد اصطلاح البعض على تسمية مسائل التوحيد ظلماً وزوراً باسم علم الكلام وبالجملية يجب الحذر من الاصطلاحات الحادثة والتقسيمات التي تنطوي على مخالقات لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. يقول الشيخ الألباني « وبهذه المناسبة نقول: إن من الواجب على أهل العلم أن ينتبهوا للمعاني الحديثة التي طرأت على الألفاظ العربية التي تحمل معاني خاصة معروفة عند العرب هي غير هذه المعاني الحديثة لأن القرآن نزل بلغة العرب فيجب أن تفهم مفرداته وجمله في حدود ما كان يفهم العرب الذين أنزل عليهم القرآن ولا يجوز أن تفسر بهذه المعاني الاصطلاحية الطارئة التي اصطلاح عليها المتأخرون وإلا وقع المفسر بهذه المعاني في الخطأ والتقول على الله ورسوله من حيث لا يشعر وقد قدمت مثلاً على ذلك لفظ (الكراهة) وإليك مثلاً آخر لفظة (السنة) فإنه في اللغة الطريقة وهذا يشمل كل ما كان عليه ﷺ من الهدى والنور فرضاً كان أو نقلاً وأما اصطلاحاً فهو خاص بما ليس فرضاً من هديه ﷺ فلا يجوز أن يفسر بهذا المعنى الاصطلاحى لفظ السنة الذي ورد في بعض الأحاديث الكريمة كقوله ﷺ « وعليكم بسنتي » وقوله « سبعة لعنهم الله

وكلُّ نبيٍّ مستجاب الدعوة ... والتارك لستى ...» وقوله ﷺ «... فمن رغب عن سنتي فليس مني» ومثله الحديث الذي يورده بعض المشايخ المتأخرين في الحض على التمسك بالسنة بمعناها الاصطلاحي وهو من ترك سنتي لم تنله شفاعتي « فأخطأوا مرتين : الأولى : نسبتهم الحديث إلى النبي ﷺ ولا أصل له فيما نعلم والثانية تفسيرهم للغة بالمعنى الاصطلاحي غفلة منهم عن معناها الشرعي وما أكثر ما يخطيء الناس فيما نحن فيه بسبب مثل هذه الغفلة ١. هـ من تحذير الساجد .

بيان ما هو فرض عين وفرض كفاية

يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم التوحيد وما ينافيه من الشرك وأن يتعلم الحلال والحرام والفرائض ، ما تصح به وما تبطل به والأمور التي تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر ، كما يجب أيضاً أن يتعلم المسلم ما يستدفع به الشبهات عن نفسه . وفي الحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » صححه الألباني وفي الحديث الآخر « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ومعناه صحيح إذ النساء شقائق الرجال في الأحكام . ويأثم الإنسان بجهله إذا تمهدت له سبل العلم ولم يتعلم . ويجب على بعض الأمة أن تتعلم الصناعة والزراعة والهندسة والطب ونحو ذلك من العلوم النافعة التي تخدم الأمة وينتفع بها المسلمون وهذه العلوم هي من جملة فروض الكفاية بمعنى إذا لم يقم القادرون بها لحقهم الإثم والذنب أو يأثم الكل بشيء من التجوز كما يقول الإمام الشاطبي لأن غير القادر قادر على إقامة القادر . وفرض الكفاية فرض عين حتى يقم . قال الإمام أبو عمر بن عبد البر « قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصته بنفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضوع واختلفوا في تلخيص ذلك والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شبه له ولا مثل لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد خالق كل شيء وإليه مرجع كل شيء المحيي المميت الحى الذى لا يموت والذي عليه جماعة أهل السنة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه وليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته

انقضاء وهو على العرش استوى . والشهادة بأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخاتم أنبيائه حق وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال والخلود فى الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة فى الجنة ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود فى السعير حق وأن القرآن كلام الله وما فيه حق من عند الله يجب الإيمان بجميعه واستعمال محكمه وأن الصلوات الخمس فرض ويلزمه من علمها علم ما لا تتم إلا به من طهارتها وسائر أحكامها وأن صوم رمضان فرض ويلزمه علم ما يفسد صومه وما لا يتم إلا به وإن كان ذا مال وقدرة لزمه فرضاً أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ومتى تجب وفى كم تجب ويلزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة فى دهره إن استطاع إليه سبيلاً إلى أشياء يلزمه معرفة جملتها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا والربا وتحريم الخمر والخنزير وأكل الميتة والأنجاس كلها والغصب والرشوة على الحكم والشهادة بالزور وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب من أنفسهم إلا إذا كان شيئاً لا يتشاح فيه ولا يرغب فى مثله وتحريم الظلم كله وتحريم نكاح الأمهات والأخوات ومن ذكر معهن وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق وما كان مثله هذا كله مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الأمة عليه ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواهم به فى مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفاية يلزم الجميع فرضه فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقيين لا خلاف بين العلماء فى ذلك وحجتهم فيه قول الله عز وجل ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) فالزم النفر فى ذلك البعض دون الكل ثم ينصرفون فيعلمون غيرهم والطائفة فى لسان العرب الواحد فما فوقه «

١. هـ من جامع بيان العلم . فالعلوم الشرعية هى أعلى العلوم وأشرفها وهى فى الجملة علوم مقصودة لذاتها وليست وسيلة إلى غيرها وإن كان لفظ العلوم الشرعية قد يتناول علوماً هى وسائل للعلوم الشرعية وليست بغايات فى حد ذاتها مثل علم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة وعلم القراءات وعلم التجويد وعلم الرسم والنحو والصرف والبلاغة وعلم العروض وعلم القوافى وعلم اللغة والأدب والوسائل لها حكم الغايات والغاية هنا هى المعرفة عن الله تعالى ليعبد بما شرع وكل علم يساعد على هذه الغاية فهو

(١) التوبة : ١٢٢ .

علم محمود فاضل وسعى طالبه مشكور وهو فيه مأجور غير مأزور . وهذه العلوم التي هي وسائل هي أيضاً من جملة فروض الكفاية إذ ما يتوقف عليه كمال الأمة وسعادتها هو واجب والقاعدة الشرعية مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ولا يخفى عليك أن كل علم من هذه العلوم له مشاهيره كالأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رحمهم الله جميعاً وسيبويه في النحو وكثيراً ما نسمع أن هذه قراءة حفص عن عاصم أو قراءة ورش عن نافع فهؤلاء من مشاهير القراء .

المعلوم من الدين بالضرورة

وهي مسائل دلت النصوص الشرعية دلالة قطعية على حكمها كفرضية الصلاة والتي من جحدتها أو أنكر فرضيتها أو استخف بحقها أو استهزأ بأهلها فهو كافر فوجود المعلوم من الدين بالضرورة كفر وكذلك فالخمر محرمة والزنا محرم فمن استحل الحرام فقد كفر حتى وإن لم يتعاط الخمر أو الزنا يكفي أنه مع معرفته التحريم وصفه مثلاً بالرجعية أو العكس فلا بد أن تحریم الخمر لا يليق بالقرن العشرين فكلها صور من صور الكفر ولا بد أن ننبه في هذا المقام إلى أن المعلوم من الدين بالضرورة هنا قد يكون مجهولاً في أدغال إفريقيا والمعلوم في القرن الأول قد يكون مجهولاً في القرن الخامس عشر وأيضاً المعلوم لإنسان قد يكون مجهولاً لآخر وبالتالي فلا بد من قيام الحجة الرسالية على يد عالم أو ذي سلطان مطاع لتنتفي الشبهات وتدرأ المعاذير ويحیی من حی عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة فلا بد من التفريق بين النوع والمعين والقول قد يكون كفراً ويطلق القول بتكفير قائله أما الشخص المعين الذي تلبس به فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه . جاء في كتاب الوجيز نقلاً عن التلويح تحت عنوان الجهل في دار الحرب « القاعدة أن العلم فيها لا يفترض إذ هي ليست دار علم بالأحكام الشرعية بل دار جهل بها وعلى هذا إذا أسلم شخص هناك ولم يعلم حقيقة وجوب العبادات عليه كالصلاة ونحوها فلم يؤدها فإنها لا تلزمه قضاء إذا علمها وكذلك إذا شرب الخمر جهلاً منه بحرمتها فلا إثم عليه ولا عقاب لأن المؤاخذه ولزوم التكليف يثبتان ببلوغ الخطاب إليه حقيقة أو تقديرًا بشهرته في محله وليست دار الحرب بالدار التي تشيع فيها الأحكام وتشتهر بها .

يقول في دار الإسلام عدم اعتبار الجهل عذراً إذا خالف اجتهاده صريح الكتاب أو السنة المشهورة مثل القول بحل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمداً ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ أو القول بالتحليل بدون وطء لمخالفته السنة المشهورة ١. هـ. فأنت ترى كيف يفرق العلماء بين دار وأخرى في ترتيب الأحكام . وقد سئل الشيخ ابن باز حفظه الله وقيل له (حصل نزاع بين إخواننا المسلمين في تركيا في هذا الحديث « من حلل حراماً أو حرم حلالاً فقد كفر » هل يعد من حلل حراماً أو حرم حلالاً من الكافرين أو من المذنبين وما معنى قوله « كفر » في الحديث أو ليس بينه وبين كلمة كافر فرق نرجو من سماحتكم جواباً مقنعاً كافياً شافياً في هذا الحديث ؟

الجواب : أولاً : هذا الحديث لا نعلم له أصلاً ولا نعلم أحداً من الأئمة المعترين أخرجه بإسناد صحيح ولا ضعيف فلا يعول عليه والحالة ما ذكر .

ثانياً : إذا خالف مسلم حكماً ثابتاً بنص صريح من الكتاب والسنة لا يقبل التأويل ولا مجال فيه للاجتهاد أو خالف إجماعاً قطعياً ثابتاً بين له الصواب في الحكم فإن قبل فالحمد لله وإن أبى بعد البيان وإقامة الحجة وأصر على تغيير حكم الله حكم بكفره وعومل معاملة المرتد عن دين الإسلام مثال ذلك من أنكر الصلوات الخمس أو إحداها أو فريضة الصيام أو الزكاة أو الحج وتناول ما دل عليها من نصوص الكتاب والسنة ولم يعبأ بإجماع الأمة . وإذا خالف حكماً ثابتاً بدليل مختلف في ثبوته أو قابل للتأويل بمعان مختلفة وأحكام متقابلة فخلافه خلاف في مسألة اجتهادية فلا يكفر بل يعذر في ذلك من أخطأ ويؤجر أجرين من أصاب أجر على اجتهاده وأجر على إصابته مثال ذلك من أنكر وجوب قراءة الفاتحة على المأموم ومن قال بوجوب قراءتها عليه ومن خالف في حكم صنع أهل الميت الطعام وجمع الناس عليه فقال إنه مستحب أو قال إنه مباح أو أنه مكروه غير حرام فمثل هذا لا يجوز تكفيره ولا إنكار الصلاة وراءه ولا تمتنع مناكرته ولا يحرم الأكل من ذبيحته بل تجب مناصحته ومذاكرته في ذلك على ضوء الأدلة الشرعية لأنه أخ مسلم له حقوق المسلمين والخلاف في هذه المسألة خلاف في مسألة فرعية اجتهادية جرى مثلها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف ولم يكفر

بعضهم بعضاً ولم يهجر بعضهم بعضاً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم
 ا. هـ . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول فى القرن السابع الهجرى « ولكن لغلبة الجهل
 وقلة العلم بآثار الرسالة فإننا لا نكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية » وكذلك قال الشيخ
 محمد بن عبد الوهاب فيمن رآه يسجد عند قبر عبد القادر الجيلانى أو السيد البدوى وقد
 جهلت المرأة النبوية التى زينت مع مرعوش بدرهمين أن هناك حداً مرتباً على هذه
 الفاحشة وقال عثمان لعمر رضى الله عنهما أراها تستسهل به (أى بزناها) كأنها لا تعلم
 فلم يقم عمر الحد عليها وقال ليس الحد إلا على من علم على الرغم من أن هذه المرأة
 كانت تعيش فى دار الإسلام التى تطبق الأحكام الشرعية فيها ولكنها كانت نوبية وكانت
 لا تعلم فإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات فأولى ثم أولى أمر التكفير .

فضل العلم ومنزلة العلماء

قال رسول الله ﷺ « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله تعالى له به طريقاً
 إلى الجنة . » رواه مسلم وقال « ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له
 الملائكة أجنحتها رضاً مما يصنع » رواه الترمذى وصححه . وفى الحديث « من خرج فى
 طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذى وصححه . وعن كعب قال
 « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا متعلم خير أو معلمه » وعن خالد بن معدان قال : الناس :
 عالم ومتعلم وما بين ذلك همج لا خير فيه وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول :
 « تعلموا قبل أن يقبض العلم فإن قبض العلم قبض العلماء وإن العالم والمتعلم فى
 الأجر سواء وكان إذا رأى طلبة العلم قال مرحباً بطلبة العلم ويقول : إن رسول الله ﷺ
 أوصى بكم وقد أثنى ربنا جل وعلا على العلماء فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا
 يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) ومنها ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا
 يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) وقوله ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلَكُ وَالْمَلَأِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمَ قَائِمًا
 بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) وروى البخارى عن جابر رضى الله عنه أن

(٣) آل عمران : ١٨ .

(٢) الزمر : ٩ .

(١) طاهر : ١٢٨ .

النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول أيهما أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد » وكان علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول « إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ».

هل المسلم ملزم باتباع مذهب عالم من العلماء المشهورين

لا بأس بالتمذهب ويجب على الإنسان إذا علم مخالفة قول إمامه لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ أن يترك قول الإمام ويتابع الكتاب والسنة وبسبب شهرة بعض العلماء ومن بينهم الأئمة الأربعة وقع كثير من الناس فى المحذور على الرغم من تحذير العلماء من أخذ أقوالهم المخالفة للكتاب والسنة بل قد حرم الإمام أبو حنيفة أن يفتى أحد بقوله إلا إذا علم دليله حيث يقول « حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتى بقولى » وكان يقول فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً وكان يقول « إذا صح الحديث فهو مذهبي » وما دعا أحد منهم الناس إلى اتباعه بل جميعهم نهوا تلاميذهم عن تقليدهم وأمروهم باتباع الحق والدليل كما قال الإمام أحمد لتلميذه : « لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعى ولا الثورى وخذ من حيث أخذوا » يعنى الكتاب والسنة وقال رأى الأوزاعى ورأى مالك ورأى أبو حنيفة كله رأى وهو عندى سواء وإنما الحجة فى الآثار وقال « من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة » ورفض الإمام مالك أن يحمل الناس على مافى كتابه الموطأ وقال رحمه الله « إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأىي فكل ماوافق الكتاب والسنة فخذه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه » . وقال : « ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ » ولما سئل الإمام الشافعى رحمه الله وقيل له « رأيت أقاليل أصحاب رسول الله ﷺ إذا تفرقوا فيها فقال نصير فيها إلى ماوافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح فى القياس » وقال : لا يجعل القياس والخبر موجود » . ويقول أيضاً « ليس لأحد دون رسول الله ﷺ أن يقول إلا بالاستدلال ولا يقول بما استحسّن فإن القول بما استحسّن شئء يحدثه لا على مثال

سبق . ويقول « أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد » وقال « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت » . وقال أيضاً رحمه الله « كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي » وكان يقول « كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح فحديث النبي ﷺ أولى فلا تقلدوني » ا. هـ . فإذا لم يستطع الإنسان معرفة الحق بدليله بعد بذله وسعه فلا بأس بتقليد من يثق بعلمه وورعه وتقواه ، ودائرة العلماء لا تقتصر على الأئمة الأربعة بل هي أوسع من ذلك بكثير فالتقليد لا يصار إليه إلا في حال الاضطرار كمنزلة الميتة للمضطر . وعلى العالم إذا سئل عن دليل المسألة أن يوضحه لمن استفتاه وقد أجمع المسلمون أن للمقلد أن يقلد من يشاء من المجتهدين إذا توصل إلى حقيقة مذاهبهم وله أن يقلد كل يوم إماماً من الأئمة كما أجمعوا على أن المقلد إذا ما تمرس في فهم مسألة من المسائل وتبصر بأدلتها من الكتاب والسنة وأصول الاجتهاد وجب عليه أن يتحرر في الأخذ بها من مذهب إمامه وحرم عليه التقليد طالما أمكنه أن يجتهد فيها ويحرم عليه ترجيح رأى إمامه على ما هداه إليه اجتهاده في تلك المسألة التي توفر على دراستها والتعمق في فهم أدلتها وأصولها ويصح اقتداء الشافعي بالحنفي والحنفي بالشافعي وخلاف ذلك تعصب مقيت ومذموم يتصادم مع كلام الأئمة الأعلام أنفسهم ولا يصح القول بإغلاق باب الاجتهاد أو انحصار الفقه في الأئمة الأربعة فالاجتهاد بابه مفتوح لكل من تأهل لذلك وحصل أدوات النظر في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ والعالم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فالحق في المسائل واحد لا يتعدد ومسائل الفقه تدور بين الخطأ والصواب والأقوال العارية من الأدلة متساوية ونحذر أنفسنا وإخواننا من التعصب والجمود المذهبي وإطلاق القول بالتقليد بحيث أصبح الاستثناء هو الأصل فانعدمت روح البحث عن الدليل وتابع البعض زلات العلماء وصنعوا منها ديناً لأنفسهم ثم كان التعصب والتنافس والوقية والتباغض بين المقلدين وارتكبت بسبب ذلك كثير من المخالفات وضعف الوازع الديني وكثر التحايل على المسائل الشرعية . وقد أدى هذا التقليد وبهذه الكيفية الموجودة الآن إلى تعظيم الأئمة إلى الحد الذي رفعهم إلى

نسبة العصمة لهم وعدم جواز الخطأ عليهم فى الوقت الذى يردون فيه الآية المحكمة المقاطعة الدلالة والحديث الصحيح الواضح وهذا خوفاً من مخالفة الإمام !! أى ضلال هذا حين يقدم المرء كلام المخلوق على كلام الخالق وننبه إلى خطورة المسلك الذى يسلكه البعض وذلك حين يطوف على مذهب العلماء تلمساً للرخص فمثل هذا الإنسان يفسق ويتجمع فيه الشر كله فكيف بمن صنع دينه من زلات علماء الأمة . وكما قالوا لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة وقالوا أيضاً وما كل خلاف جاء معتبراً . ونحن عندما نرجع للعلماء إنما نفعل ذلك لأخذ فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ . وكما قال البعض شيخ الإسلام حبيب إلى أنفسنا والحق أحب إلينا منه وهذا لا يقدر ولا يطعن فى محبتنا لعلماء الأمة المعترين وتقديرنا لهم واحترامهم وموالاتهم فهذا واجب على كل مسلم وليس معنى ذلك أن نوجب التمذهب إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله .

القرار التاسع

بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ قد نظر في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة وفي التعصب المقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم تعصباً يخرج عن حدود الاعتدال ويصل بأصحابه إلى الطعن في المذاهب الأخرى وعلمائها . استعرض المجلس المشكلات التي تقع في عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذاهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه فيوحي إليهم المضللون بأنه ما دام الشرع الإسلامي واحداً وأصوله من القرآن والسنة النبوية الثابتة متحدة أيضاً فلماذا اختلاف المذاهب ولم لا توحد حتى يصبح المسلمون أمام مذهب واحد وفهم واحد لأحكام الشريعة كما استعرض المجلس أيضاً أمر العصبية المذهبية والمشكلات التي تنشأ عنها ولا سيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في عصرنا هذا حيث يدعوا أصحابها إلى خط اجتهادي جديد ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقىتها الأمة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضلالاً ويوقعون الفتنة بين الناس . وبعد المداولة في هذا الموضوع ووقائعه وملا بساته ونتائجه في التضييل والفتنة قرر المجمع الفقهي توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين المضللين والمتعصبين تنبيهاً وتبصيراً :

أولاً : اختلاف المذاهب :

إن اختلاف المذاهب الفكرية القائم في البلاد الإسلامية نوعان :

(أ) اختلاف في المذاهب الاعتقادية . (ب) واختلاف في المذاهب الفقهية .

فأما الأول : وهو الاختلاف الاعتقادي فهو في الواقع مصيبة جرت إلى كوارث في البلاد الإسلامية وشقت صفوف المسلمين وفرقت كلمتهم وهي مما يؤسف له ويجب أن لا يكون وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذي يمثل الفكر الإسلامي النقي السليم في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة التي أعلن الرسول أنها امتداد لسنته بقوله « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » . وأما الثاني وهو اختلاف المذاهب الفقهية في بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته ولله سبحانه في ذلك حكمة بالغة ومنها الرحمة بعباده وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص ثم هي بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية في سعة من أمر دينها وشريعته فلا تنحصر في تطبيق شرعى واحد حصراً لامناص لها منه إلى غيره بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء في وقت ما أو في أمر ما وجدت في المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً سواء أكان ذلك في شئون العبادة أم في المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلة الشرعية . فهذا النوع الثاني من اختلاف المذاهب وهو الاختلاف الفقهي ليس نقيضه ولا تناقضاً في ديننا ولا يمكن أن لا يكون فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعي كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهي الاجتهادي . فالواقع إن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتل أكثر من معنى واحد كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة كما قال جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى فلا بد من اللجوء إلى القياس والنظر إلى علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة وتحكيمها في الوقائع والنوازل المستجدة وفي هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات فتختلف أحكامهم في الموضوع

الواحد وكل منهم يقصد الحق ويبحث عنه فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج .

فأين النقيصة في وجود هذا الاختلاف المذهبي الذى أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة وأنه فى الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين وهو فى الوقت ذاته ثروة تشريعية عظيمة ومزية جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية ولكن المضللين من الأجانب الذين يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم ولا سيما الذين يدرسون لديهم فى الخارج فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافًا اعتقاديًا ليوحوا إليهم ظلمًا وزورًا بأنه يدل على تناقض الشريعة دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين وشتان ما بينهما .

ثانيا : وأما تلك الفئة الأخرى التى تدعو إلى نبذ المذاهب وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهادى جديد لها وتطعن فى المذاهب الفقهية القائمة وفى أئمتها أو بعضهم : ففى بياننا الآن فى المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذى ينتهجونه ويضللون به الناس ويشقون صفوفهم ويفرقون كلمتهم فى وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة فى مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام بدلاً من هذه الدعوة المفرقة التى لا حاجة إليها .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين أ . هـ .

ولاية الله والطريق إليها

قال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (١) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه

(١) يونس : ٦٢ - ٦٣ .

الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألتنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيزنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره إساءته» متفق عليه . وقد زاد بعض الوضعيين والكذابين من عند أنفسهم عبدى أعطنى تكن عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون « والذى يقول للشيء كن فيكون هو رب العزة جل وعلا دون أحد سواه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٢) وطريق الولاية طريق واضح كما ورد فى النصوص الشرعية فكل مؤمن تقى هو ولى من أولياء الله سواء كان حياً أو مقبوراً . وولاية العبد بحسب إيمانه وتقواه . وقد فسر الطبرى الأولياء بأنهم أنصار الله ثم نقل ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ فإننا نحبههم لذلك قال : هم قوم تحابوا فى الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فو الله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ثم يقول « الطبرى » والصواب من القول فى ذلك أن يقال « الولى » أعنى ولى الله : هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها وهو الذى آمن واتقى كما قال الله ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (٢) ا. هـ .

وهذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح وهذا يتضمن الإيمان ومتابعة الفرائض بالنوافل ومن أداء الفرائض ترك المعاصى وإذا كان الأمر كذلك فأفضل الأولياء هم الأنبياء وأفضل الأنبياء هم المرسلون وأفضل الرسل هم أولو العزم وأفضل ألو العزم نبينا محمد ﷺ وأفضل هذه الأئمة بعد نبيها هو أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك ومن قدم علياً على أبى بكر وعمر رضى الله عنهم فى الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع بل ولا يصح تقديم على عثمان رضى الله عنهم وقد استقر الأمر على تقديم عثمان فى الفضل والخلافة لحديث ابن عمر رضى الله عنهما « كنا نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر

قاعدة في المعجزات والكرامات

(٢) التوبة : ١٠٠ .

على الفعل وهو التأثير وإما على الترك وهو الغنى والأول أجود وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده فإنه الذى أحاط بكل شىء علماً وهو على كل شىء قدير وهو غنى عن العالمين وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : **﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾** (١) كذلك قال نوح عليه السلام فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولى العزم كلاهما يتبرأ من ذلك إلى أن قال « وقد جمع لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق : أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل إخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ومخاطباته لهم وأحواله معهم وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أو بغيره من غير تعلم له منهم وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما فى أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم وفى مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب وهو من حكمة إيقائهم بالجزية وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من « باب العلم الخارق » وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلية مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقاتل الترك وألوف مؤلفة من الأخبار التى أخبر بها مذكور بعضها فى « كتب دلائل النبوة » « وسيرة الرسول » و « فضائله » و « كتب التفسير » و « الحديث » و « المغازى » مثل دلائل النبوة لأبى نعيم والبيهقى وسيرة ابن إسحاق وكتب الأحاديث المسندة كمسند الإمام أحمد والمدونة كصحیح البخارى وغير ذلك فما هو مذكور أيضاً فى كتب أهل الكلام والجدل « كأعلام النبوة للقاضى عبد الجبار وللمواردى والرد على النصارى للقرطبى ومصنفات كثيرة جداً وكذلك ما أخبر عنه غيره مما وجد فى كتب الأنبياء المتقدمين وهى فى وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوة بأيدي اليهود والنصارى كالتواتر والإنجيل والزبور وكتاب شعيا وحقوق ودانيال وأرميا وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأبحار والرهبان وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما وكذلك المنامات وتعبيرها كمنام كسرى وتعبير

(١) الأنعام : ٥٠ .

الموبدان وكذا أخبار الأنبياء المتقدمين بما مضى وما عبر هو من أعلامهم . وأما القدرة والتأثير فإما أن يكون فى العالم العلوى أو ما دونه وما دونه إما بسيط أو مركب والبسيط إما الجو وإما الأرض والمركب إما حيوان وإما نبات وإما معدن و الحيوان إما ناطق وإما بهيم فالعلوى كانشقاق القمر ورد الشمس ليوشع بن نون وكذلك ردها لما فأتت عليا الصلاة والنبي ﷺ نائم فى حجره - إن صح الحديث - فمن الناس من صححه كالطحاوى والقاضى عياض ومنهم من جعله موقوفا كأبى الفرج بن الجوزى وهذا أصح كذلك معراجة إلى السماوات . وأما الجو فاستسقاؤه واستصحائه غير مرة كحديث الأعرابى الذى فى الصحيحين وغيرهما وكذلك كثرة الرمى بالنجوم عند ظهوره وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وأما الأرض والماء « فكاهتزاز الجبل تحته وتكثير الماء من عين تبوك وعين الحديدية ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومزادة المرأة وأما « المركبات » فتكثيره الطعام غير مرة فى قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبى طلحة وفى أسفاره وجراب أبى هريرة ونخل جابر بن عبد الله وحديث جابر وابن الزبير فى انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه وسقيه لغير واحد من الأرض كعين أبى قتادة وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنما الغرض التمثيل وكذلك من باب « القدرة » عصا موسى ﷺ وقلق البحر والقمل والضفادع والدم وناقة صالح وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى لعيسى كما أن من باب « العلم » إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم وفى الجملة لم يكن المقصود هنا ذكر المعجزات النبوية بخصوصها وإنما الغرض التمثيل بها . وأما المعجزات التى لغير الأنبياء من « باب الكشف والعلم » فمثل قول عمر فى قصة سارية وأخبار أبى بكر بأن يبطن زوجته أنثى وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً وقصة صاحب موسى فى علمه بحال الغلام « والقدرة » مثل قصة الذى عنده علم من الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ وأبى مسلم الخولانى وأشياء يطول شرحها فإن تعداد هذا مثل المطر وإنما الغرض التمثيل بالشيء الذى سمعه أكثر الناس وأما القدرة التى لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه . أ. هـ . ومعجزات الأنبياء كثيرة وقد كانت من جنس ما برع فيه قومهم مثل عصا موسى وقد اشتهر قومه بالسحر وكان عيسى يحيى الموتى بإذن الله ويرى الأكمة

والأبرص يأذن الله وكان قومه قد اشتهروا بالطب . ومعجزات النبي ﷺ كثيرة ومن أعظمها القرآن فقد تجدهم رب العزة جل وعلا أن يأتوا بسورة من مثله وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فما استطاعوا ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) ، ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (٢) وقد ثبت العجز للجميع عبر العصور وكر الدهور عن مواجهة التحدى وبمعجزهم ثبت الإعجاز لكتاب الله . وقد جمع القرآن صوراً كثيرة من صور الإعجاز مثل الإعجاز التشريعي والإعجاز البلاغي والإعجاز العلمى . ثم الخوارق التى تحدث للعباد وتجرى على أيديهم منها كرامات رحمانية ومنها خوارق شيطانية وضابط الكرامة هو الاستقامة وكما قال الشافعى والليث بن سعد إذا رأيت الرجل يطير فى الهواء أو يمشى على الماء لا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة فإذا كان ممن يستقيم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فلا يبعد أن تحدث له كرامة رحمانية كما حدثت لكثير من الصحابة وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال « قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد منهم فعمر منهم » وفى لفظ فى الصحيح « إن فى هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » وحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » أخرجه الترمذى وحسنه . ثم عمر رضى الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورنه ويراجعهم ويراجعون ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ويرجعون جميعاً إليهما وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسى ومن الشيطان والله منه برىء وكان أبو سليمان الدارانى يقول : « إنها لتقع فى قلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة » وقال أبو عثمان النيسابورى « من أمر على نفسه الشريعة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ (٣) .

(٢) الإسراء : ٨٨ .

(١) البقرة : ٢٣ - ٢٤ .

(٣) النور : ٥٤ .

خوارق غير الأولياء

جاء في كتاب ولاية الله والطريق إليها ص ٢٣٧ مانصه « وإذا عرفت أنه لا بد للولي من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولي الله فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر ومن يترك فرائض الله سبحانه ويتلو بمعاصيه لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم في مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده . وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم وقانون معروف حتى ينتهي حاله إلى أن لا يأكل إلا في أيام ذوات العدد ويتناول بعد مضي أيام شيئاً يسيراً فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية فيدرك ما لا يدركه غيره وليس هذا من الكرامات في شيء . ولو كان من الكرامات الربانية والتفضلات الرحمانية لم يظهر على أيدي أعداء الله كما يقع كثيراً من المرتاضين من كفره الهند الذين يسمونهم الآن الجوكية وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة على لسان بعض المجانين وسبب ذلك كما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير اللذين يستمران للعقلاء فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك في القاذورات قاعد في المزابل وما يشابهها فيظن من لا حقيقة عنده أنه من أولياء الله وذلك ظن باطل وتخيل مختل وهو في الحقيقة مجنون قد رفع الله عنه قلم التكليف ولم يكن ولياً لله ولا عدواً . هـ .

الغلو في الصالحين

فالغلو في المنسوين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بني آدم وتركهم

دينهم بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديماً وحديثاً وبدلاً من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق السموات والأرض وجدنا منهم من يذبح للسيد البدوى وينذر لأبى العباس المرسى ويستغيث بإبراهيم الدسوقي ويلتمس المدد والبركة من الحسين رضى الله عنه إلى غير ذلك من صور العبادة التى صرفت لغير الله وقد أخرجوا هذا الشرك وأظهروه فى قالب المحبة والتعظيم للأولياء هكذا صور لهم الشيطان وهكذا زعموا ثم احتجوا باطلاً على شركهم بقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (١) . وفى الصحيح عن ابن عباس فى قول الله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (٢) قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبت . قال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم . وقد حذر سبحانه من الغلو فقال : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ (٣) والغلو كثير فى النصارى فإنهم غلوا فى عيسى عليه السلام فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله وناقضتهم اليهود فى أمر عيسى عليه السلام فغلوا فيه فخطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغى . قال شيخ الإسلام : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا فى الدين يافراط فيه أو تفريط وضاهاهم فى ذلك فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام . هـ . وقد احتاط النبى ﷺ لعدم خدش جناب التوحيد فعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله » رواه الشيخان فأين هذا من غلو البوصيرى حين قال :

فإن من جودك الدنيا وضرتها . . ومن علومك علم اللوح والقلم .

فجعل الدنيا والآخرة من جوده وجزم بأنه يعلم ما فى اللوح المحفوظ وكل ذلك كفر صريح ومن عجيب الأمر أن الشيطان أظهر لهم ذلك فى صورة محبته ﷺ وتعظيمه

(١) يونس : ٦٢ .

(٢) نوح : ٢٣ .

(٣) المائدة : ٧٧ .

ومتابعته - بل هو يقول أيضاً فى نفس القصيدة .

مالى من ألوذ به سواك . . عند حلول الحادث العمم

ولذلك رد عليه القائل بقوله :

لذ بالإله ولا تلذ بسواه . . من لاذ بالملك الجليل كفاه .

فأنت ترى وكأنه لا يعرف له ربا يلوذ به عند نزول الشدائد وهذا نوع من الغلو حذر منه رسول الله ﷺ . بل كان يجلس حيث ينتهى به المجلس يكره من أصحابه القيام له ويقول : « لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكهم » وكان يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد ولما دخل عليه البعض يوماً وارتعدت فرائصه قال : « هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » ولما قال له البعض يوماً : ياسيدنا قال : « إنما السيد هو الله وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته : « القبط لى حصى » فلقطت له سبع حصيات هن حصى الحذف فجعل يفضهن فى كفه ويقول : « أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين » رواه أحمد والترمذى وهذا لفظ ابن ماجه . ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « هلك المنتطعون » قالها ثلاثاً . فالغلو مذموم فى الاعتقادات والأعمال وكذلك التنطع . والمنتطعون هم الغالون عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة والمسترسلون مع الشيطان فى الوسوسة وهم أيضاً المتقعدون فى الكلام والمتكلفون من أهل الكلام . وبالجملة فالغلو أصل الشرك فى الأولين والآخرين إلى يوم القيامة . وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هى باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم فى إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم . والغلو هو هو فقد حدث قديماً وعابه رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا شركهم بقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (١) وبقولهم : ﴿ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢) فرد عليهم سبحانه بقوله ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾ (٣) فلا

(٣) الزمر : ٤٤ .

(٢) يونس : ١٨ .

(١) الزمر : ٣ .

يُصَحُّ أَنْ يَخْلُقَ هُوَ وَيُعْبَدَ غَيْرُهُ وَأَنْ يَرْزُقَ هُوَ وَيَشْكُرَ سِوَاهُ ﴿۱﴾ أَيْشُكْرُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿۲﴾ وَالشِّرْكُ هُوَ صَرْفُ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ سِوَاءَ أَكَانَتْ مَالِيَّةً أَوْ بَدَنِيَّةً أَوْ قَلْبِيَّةً ﴿۳﴾ لَنْ أَشْرَكَ لِيحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿۴﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿۵﴾ (۱) ﴿۶﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿۷﴾ (۲) وَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَكَانَ رَدِيفَهُ عَلَى الدَّابَّةِ : « حَقَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَحَقَّ الْعِبَادُ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَعْذِبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » فَاحْذَرِ الشِّرْكَ عَلَى نَفْسِكَ دَقَّهُ وَجَلَّهُ فَلَقَدْ بَالِغَ النَّبِيِّ ﷺ وَحَذَرَ وَأَنْذَرَ وَأَبْدَأَ وَأَعَادَ وَخَصَّ وَعَمَّ فِي حِمَايَةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ بِهَا فَهِيَ حَنِيفِيَّةٌ فِي التَّوْحِيدِ سَمْحَةٌ فِي الْعَمَلِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : هِيَ أَشَدُّ الشَّرَائِعِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْإِبْعَادِ عَنِ الشِّرْكَ وَأَسْمَحُ الشَّرَائِعِ فِي الْعَمَلِ .

(۲) الحج : ۳۱ .

(۱) النساء : ۴۸ .

ثانياً : العلوم الكونية

وتعرف أيضاً بالعلوم الطبيعية وهى أنواع كثيرة منها : علم الكيمياء وعلم النبات وعلم الأحياء والطب والصناعة وهذه العلوم علوم نافعة غير ضارة ولذلك فهى تؤخذ من كل من أفلح فيها كائناً من كان بعكس ما يتعلق بالهداية الإلهية فهذه مردها لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (١) أى للتي هى أسد وأعدل وذلك فى كل ناحية من نواحي الحياة . وهذه الأمة مأمورة بالأخذ بأسباب القوة وذلك لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (٢) والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . والقوة مطلوبة بكل معانيها سواء أكانت قوة إيمانية أو قوة مادية ولا تعارض بين تحصيل هذه وتلك بل تقدم هذه الأمة مرتين باستمساكها بدينها ولن تتمكن من حل المشكلات بالاستغناء عن الدين ، والعلاقة وثيقة بين حالة العباد وحالة الكون من حولهم قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَمَتْ عَنْ رَبِّهَا وَرُسُلُهَا فَحَاسِبْنَهَا حَسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نَكِراً . فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾ (٥) فطاعة الله والاستقامة على شرعه سبحانه والعمل بتعاليمه سبباً كبيراً لسعادة المرء وهى كفيلة له بالنجاح فى الدنيا والآخرة وعلى العكس فشؤم الأعمال السيئة يحول دون النظام الطبيعى للفصول بما نراه من كثرة الجذب والمجاعات . وما عليه الغرب لا يصلح مقياساً لنا فالكاfer يطعم بحسناته فى الدنيا أما المؤمن فيطعم بها فى الدنيا والآخرة ولما قال عمر لرسول الله ﷺ : أرأيت فارس والروم رد عليه النبى ﷺ بقوله : « أولئك قوم عجلوا طيبتهم فى الحياة الدنيا قال عمر فقلت : يا رسول الله استغفر لى » رواه البخارى . وإذا رأيت الرجل يعطى الدنيا « على معاصيه فهو استدراج من الله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا

(٣) الطلاق (٨-٩) .

(٢) الأنفال (٦٠) .

(١) الإسراء (٩) .

(٥) المائدة (٦٦) .

(٤) هود (١٠٢) .

فَرَحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١﴾ ولما سئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ فقال إن الله تعالى يستوفى جزاء أعمالهم بصحة أبدانهم وإدخال السرور إلى أنفسهم بزيادة الأولاد والأموال . ثم العقوبة فى الأصل أخروية للكافر وقد يعجل شىء منها فى الدنيا بكثرة ظلمهم أو إسرافهم فى الفسق والفجور أو اعتدائهم على الأنبياء أما الحسنات فهى تعجل له فى الدنيا فإذا قدموا على ربهم فلا نصيب لهم إلا النار . فلا يصح الانبهار بتقدم زائف أو بحضارة لم تقم على منهج العبودية فى الأرض . ولو رجعت هذه الأمة لدينها لعلمت أن الأخذ بأسباب القوة أمر واجب فهذه العلوم الكونية كالطب والزراعة والصناعة هى من جملة فروض الكفاية وفرض الكفاية فرض عين حتى يتم وإذا لم يتم أثم القادرون عليه ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وهذه قاعدة شرعية مجمع عليها بين المسلمين وبقاء الأمة قوية عزيزة مهابة بين الأمم والشعوب الكافرة المعادية واجب . وكيف يتم لها ذلك وهى جاهلة بهذه العلوم التى أصبحت قوائم الحياة للأمم والشعوب من هنا أصبح وجود هذه العلوم فى الأمة الإسلامية واجباً حتماً لا يسعها تركه وإلا فهى آثمة مؤاخذه فى دنياها وأخرها وقد تمت مؤاخذتها فى الدنيا بإذلالها وضعفها وتسلب الأعداء عليها والواقع المر يشهد بذلك . وهذه العلوم المذكورة وإن كانت علوماً عالمية إلا أنه ينبغى الانتباه إلى اللسان الذى صيغت به هذه العلوم وهذا اللسان محلى وقد يكون شيعياً ملحداً مخرباً من شأنه أن يخرج ملاحدة لأعلام مسلمين ويكفى مثلاً على ذلك كلمة الطبيعة التى وضعت بدل كلمة الله وأصبح أبناء المسلمين يدرسون الخصائص الطبيعية ودورة البحر الطبيعية ومعلوم أن الطبيعة هى الإله عند الملاحدة فهى التى خلقت وأوجدت ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ (٢) ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله عما يشركون ﴾ (٣) وهذه الأمة لها عقيدتها ودينها وكل تربية وتعليم لا تخدم هذه العقيدة فهى فى الحقيقة هدم وتخريب . والمسائل العلمية إذا صحت فلن تتصادم مع ما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ .

(٣) الأنبياء (٢٢) .

(٢) الطور (٣٥) .

(١) الأنعام (٤٤) .

العلوم الرياضية

وهى العلوم التى يزاولها الإنسان بعقله والرياضة إما أن تكون بدنية أو أخلاقية وستحدث عنها بعد قليل بإذن الله وإما أن تكون رياضة عقلية فكرية وهى التى نتحدث عنها بعد قليل الآن وهذه العلوم تشمل الحساب ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة ، والفلك ، والهيئة ، والأرصاد ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والمنطق ، والفلسفة ، والسحر ، والطلاسم ، والرمل ، والتنجيم ، والجفر . وهذه العلوم والتى سبقتها من جملة العلوم المشهورة وكل علم له مشاهيره ولا يخفى عليك أن الشهرة وحدها لا تدل على الجواز أو القبول فقد يشتهر ما هو محرم أو ساقط وقد اتفق العلماء على تحريم علوم منها السحر والطلاسم والرمل والتنجيم والجفر . ولم يختلفوا فى جواز ومشروعية الحساب والهندسة والجبر والهيئة والفلك والأرصاد والجغرافيا والتاريخ .

مسائل تتعلق بالعلوم الرياضية

الأولى :

لا يجوز تعلم الفلسفة لأنها لا فائدة فيها وخصوصاً بالنسبة للطلبة والصغار ومن لاحظ عنده من النظر الشرعى ولا أهلية لديه على الموازنة بين الغث والسمين والإيمان والكفر وقد رأينا مدى الشر والفساد والخيرة والاضطراب عند طلاب المرحلة الثانوية (القسم الأدبى) الذين يدرسون هذه الفلسفات الكفرية الإلحادية وقد ينهرون بها وبأصحابها ممن روج لأسمائهم كفرويد وغيره من اليهود فحرام أن يتربى أبناء المسلمين على مثل هذا الضياع الذى يطلق عليه البعض وصف العلم والواجب على كل مكلف أن يحصن نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وأن تنبه إخواننا وأبناءنا للسم الموجود فى مناهجهم التعليمية والفلاسفة المسلمين لاقية لهم فيما خالفوا فيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فنحن نقبل كلام ابن سينا فى الطب أما كلامه فى الفلسفة فمرفوض ولا بد من التفريق بين ابن سينا الطبيب وبين ابن سينا الفيلسوف .

الثانية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب فى نقض المنطق وله كلام كثير فى الرد على الفلاسفة موجود فى مجموع الفتاوى ولا يجوز تعلم المنطق إلا إذا كان الإنسان محصناً بعلم الكتاب والسنة علماً وعملاً واعتقاداً وإلا فيخشى عليه الزيغ والفتنة وقد غضب النبى ﷺ لما رأى فى يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة وقال له أهذا وأنا حياً بين أظهركم لقد جئتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً لما حل له إلا أن يتبعنى .

الثالثة :

الجفر وهو علم مبنى على أسرار الحروف والرموز والإشارات يزعم أصحابه أن فيه الحوادث المستقبلية إلى يوم القيامة . وهذا الجفر هو من زبالة أفكار الزنادقة قبهم الله وقطع دابرهم فقد وضعوه للفتنة والإضلال .

الرابعة :

لا يجوز تعلم أو تعليم السحر ولا فك السحر بالسحر فهو من السبع الموبقات كما فى الحديث الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه . وقال عمر ابن الخطاب الجبت : السحر والطاغوت : الشيطان وذلك فى قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾^(١) وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان فى كل حى واحد ولا شك أن الساحر طاغوت من الطواغيت فهو أشر وأخبث من الكاهن وفى صحيح البخارى عن بجاللة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وعن جندب « حد الساحر ضربة بالسيف » والمعوذتان من أعظم الرقى فى فك السحر عن المسحور .

الخامسة :

وهى تتعلق بالتنجيم فى كتاب تيسير العزيز الحميد مانصه « قال شيخ الإسلام :

(١) النساء (٥١) .

« التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية » وقال الخطابي : علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيئ المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وما كان في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات وأنها تجري على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطي لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه . قلت : واعلم أن التنجيم على ثلاثة أقسام

أحدها :

ماهو كفر بإجماع المسلمين وهو القول بأن الموجودات في العالم السفلى مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها

تسايح معروفة في كتبهم ويدعونها دعوات لا تنبغى إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له ويبنون لكل كوكب هيكلًا .

الثاني :

الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك ويقول : إن ذلك بتقدير الله ومشيئته فلا ريب في تحريم ذلك واختلف المتأخرون في تكفير القائل بذلك ينبغي أن يقطع بكفره لأنها دعوى لعلم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه .

الثالث :

الاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول وقد كره قتاده تعلم منازل

القمر ولم يرخص ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما ورخص تعلم المنازل أحمد وإسحق . قال البخارى فى صحيحه : قال قتاده : خلق الله هذه النجوم الثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . إ . هـ بتصرف واختصار . وفى الصحيحين « أصبح من عبادى مؤمن وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب . وقد ذكر النبى ﷺ ذلك على إثر ليلة مطيرة . وفى الحديث الذى رواه أبو داود « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » ﴿ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ (١) وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء فى النجوم والنياحة . وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » رواه مسلم .

السادسة :

وهى مسألة هامة تتعلق بالرمل وما شابه ذلك . والرمل نوع من الكهانة والتنجيم وهو عبارة عن الخطوط التى تخط على الرمل والأرض ومحوها بكيفيات خاصة للتعرف على المجهولات من أحوال الإنسان والكون والكهانة ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه فى أذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذى يضرب الحصى والمنجم . والنبى ﷺ قال عن هؤلاء الخبثاء ليسوا بشيء حتى وإن صدق مرة فهو يكذب معها مائة مرة ولكن الناس يتناسون هذه المائة كذبة ولا يتذكرون إلا أنه صدق يوم كذا وكذا . وقد روى مسلم عن بعض أزواج النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول ؟ قال النووى وغيره : معناه : أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة فى سقوط

(١) طه (٦٩) .

الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة أ. هـ فهو يجب عليه أن يصلى ولكن هذا جزاءه لإتيانه مانهى عنه وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل محمد ﷺ » رواه أبو داود . وفى حديث آخر عند أحمد وغيره « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » وفى الحديث أيضاً ليس منا من تكهن أو تكهن له . قال البغوى : العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك وقيل هو الكاهن والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل وقيل : الذى يخبر عما فى الضمير وقال ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق وفى تفسير قوله تعالى ﴿ وَعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر ﴾ ... الآية قال القرطبى « قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه فى غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده فمن قال : إنه ينزل الغيث غداً وجزم فهو كافر أخبر عنه بأمانة ادعاها أم لا وكذلك من قال : إنه يعلم ما فى الرحم فهو كافر فإن لم يجزم وقال إن النوء ينزل الله به الماء عادة وأنه سبب الماء وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق فى علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر وجهلاً بلطف حكمته لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون نوء (وهو سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر من المشرق يقابله من ساعته وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها) قال الله تعالى (أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر (بالكواكب) على ما يأتى بيانه فى الواقعة إن شاء الله . قال ابن العربى : وكذلك قول الطبيب إذا كان الثدى الأيمن مسوداً الحلمة فهو ذكر وإن كان فى الثدى الأيسر فهو أنثى وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى وادعى ذلك عادة لا واجباً فى الخلقة لم يكفر ولم يفسق وأما من ادعى الكسب فى مستقبل العمر فهو كافر أو أخير عن الكوائن المجملة أو المفصلة فى أن تكون قبل أن تكون فلا ريبه فى كفره أيضاً فأما من أخبره عن كسوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا : يؤدب ولا يسجن أما عدم كفره فلأن جماعة قالوا : إنه أمر يدرك بالحساب

وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه في قوله ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ (١) وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة إذ لا يدرون الفرق بين هذا وغيره فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبوا حتى يستروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به . قلت (أى القرطبي) : ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال « من أتى عرافاً (فسأله عن شيء) لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » والعراف هو الحازي والمنجم الذى يدعى علم الغيب وهى العرافة وصاحبها عراف وهو الذى يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعى معرفتها وقد يعتقد بعض أهل هذا الفن فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة فى ذلك . وهذا الفن هو العيافة وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة قاله القاضى عياض : والكهانة ادعاء علم الغيب . قال أبو عمر ابن عبد البر فى الكافى : من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهوز البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء وعلى الزمر واللعب والباطل كله . قال علماؤنا : وقد انقلبت الأحوال فى هذه الأزمان يأتیان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية فقد شاع فى رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقهاء والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهروا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ومن أديانهم على الفساد والضلال وكل ذلك من الكبائر لقوله عليه السلام : « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم . روى مسلم عن عائشة قالت : سأل رسول الله ﷺ أناساً عن الكهان فقال : « ليس بشيء » فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً الشيء فيكون حقاً فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه (قر الدجاجة) فيخلطون معها مائة كذبة » إلى أن ذكر رواية البخارى وفيها « إن الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى فى السماء فتسرق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم . ١ . هـ ، وبالتالى فيحرم مطالعة البخت أو أنت والنجوم وحظك اليوم وغير ذلك من الأشياء التى يدعى بها أصحابها معرفة الغيب ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (٢)

(١) يس (٣٩) .
(٢) الجن (٢٦-٢٧) .

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ ^(١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ ^(٢) كما يحرم أيضاً قراءة الكف ومطالعة الفنجان وفتح المندل وعلينا أن نعلم أن الكهان وأشباههم محل قابل لتنزل الشياطين يقول تعالى ﴿ هَلْ أَنْبَيْكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ ^(٣) من عجيب الأمر ان الجرائد والمجلات مع مطلع كل عام ميلادى !! يأتون بالأخبار والحوادث التى ستحدث فى العام المقبل !! هكذا زعموا ورغم وضوح الزيف وتكرار الخطأ والجرأة على عالم الغيب والشهادة قبل ذلك إلا أنهم لا يرتدعون ولا عن غيهم يقلعون بل ويفعلون ذلك فى بلدان المسلمين . وإن تعجب فاعجب أيضاً للنساء اللاتى يذهبن إلى الكنائس ويجالسن القساوسة لمعرفة الأشياء الضائعة والمفقودة فنسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا وأن يردنا وأمتنا رداً جميلاً لا تبايع كتابة وسنة نبيه ﷺ .

السابعة :

وهى قواعد هامة فى أسلوب وعرض النواحي التاريخية .

(١) جعل العقيدة الإسلامية المحور الأساسي فى عرض التاريخ مع المحافظة على الوقائع التاريخية وعرضها كما جاءت فى مصادرها الصحيحة . وهذا هو أسلوب القرآن وطريقته فى عرضه لتاريخ الأنبياء يركز على الوحدانية وإخلاص العبودية لله ونبد الشرك والمشركين وبيان تناقضهم ويجعل القصص ونتائجه مرتبط بذلك .

(٢) التركيز فى العرض على الأهداف والغايات . فلا تشغلنا الدقائق التفصيلية فى حوادث التاريخ عن العبرة من الحدث والرؤية الشاملة وإنفاق الوقت والجهد فى البحث عن أمور لا طائل تحتها ولا تعود على البحث بفائدة وليست من هدف المسلم ولا غايته فى الحياة . وذلك إلا أن يكون البحث فى التفصيلات له مقصد شرعى .

(٢) لقمان (٣٤) .

(١) النمل (٦٥) .

(٣) الشعراء (٢٢١-٢٢٢-٢٢٣) .

(٣) أن يكون العرض موحياً بتحبيب الخير وتبغيض الشر.

(٤) إبراز دور الأنبياء وأثرهم في تاريخ البشرية.

(٥) تحرى استعمال المصطلحات الإسلامية

(٦) الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء وذلك لأن المؤرخ يجب أن

يكون واضح المعنى وعباراته محددة الدلالة.

الشهرة بالشر والإفساد

فكما تحدث الشهرة بالعلم والصلاح فكذلك تتم بالشر والإفساد وهذا الركب يتزعمه إبليس ويسير خلفه كل طاغية وطاغوت وهو يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقد قطع عهداً على نفسه أن يتخذ من العباد نصيباً مفروضاً وقد بين النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة وذلك لأن أجوج ومأجوج ومن مات من بنى آدم وبنى إبليس على الكفر عددهم كبير ثم يقوم إبليس في أهل النار خطيباً يقول لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) وقد ابتدأ الصراع عندما خلق الله آدم وجعل إبليس يطيف به ويقول لئن سلطت على لأعصينك ولئن سلطت عليك لأهلكك ثم أمر بالسجود لآدم فامتنع اعتراضاً على أمر الله وسأل الله النظرة والمهلة إلى يوم القيامة ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُعْثُونَ﴾ (٢) واقتضت حكمة الله إمهاله ثم وسوس لآدم وحواء ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ . فَدَلَاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفَفَا يَخْصَفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ (٣) ثم نزل الجميع إلى الأرض ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ (٤) وكانت أول معصية تقع على الأرض بسبب الحسد

(١) الحجر (٣٦).

(٢) إبراهيم (٢٢).

(٣) الأعراف (٢١).

(٤) الأعراف (٢٤).

فقد قتل قابيل أخاه هابيل . وإبليس فى حربه لبنى آدم يستخدم كل الحيل ومع هذا فكيفه ضعيف ﴿ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً ﴾ وهو يحاول أن يستدرج العباد فى عقبة من العقبات السبع إما الكفر أو البدعة أو الكبيرة أو الصغيرة أو تقديم الأمور المفضولة على الأمور الفاضلة أو الإسراف فى المباحات فإن يفلح استجلب الأذى على عباد الله لإعاقبتهم عن طاعة ربهم وهو يتخذ لنفسه أعواناً من الإنس والجن محاولاً إبعاد العباد عن صراط الله المستقيم بإيقاعهم إما فى أمراض الشهوات وإما فى أمراض الشبهات وسالكاً بهم مسالك الإفراط والتفريط ومن تأمل حالة البشرية وجد صراعاً ودفعاً بين أهل الحق وأهل الباطل حدث ذلك بين إبراهيم عليه السلام والنمرود وبين موسى عليه السلام وفرعون وبين رسول الله ﷺ وكفار قريش كأبى جهل وأبى لهب . والشيطان لا ينام فى حربه للإسلام وأهله وكذلك أعوانه من اليهود والنصارى والملاحدة ﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ .

عالم الجن والشياطين

قال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب :

- ١ - فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جنى .
- ٢ - فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس قالوا : عامر والجمع عمار .
- ٣ - فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا : أرواح .
- ٤ - فإن خبث وتعرض قالوا : شيطان .
- ٥ - فإن زاد أمره على ذلك وقوى قالوا عفریت .

والجن منه المسلم ومنه الكافر وقد خلقوا من النار وعندهم مقدرة على التلون والتشكل والتصنيع ولديهم سرعات كبيرة ، والجن والإنس يموتون ، ولم تسخر الجن لأحد إلا لسليمان وهم مكلفون بأصل الشريعة .

علماء السوء

خطرهم كبير وضررهم عظيم فهم بمثابة قطاع الطريق إلى الله تعالى ، حرموا الحلال وأحلوا الحرام وكتموا الحق مع حاجة الناس إلياه ودعوا الناس بأقوالهم وصدوهم كان الإمام أحمد رحمه الله يقول : « إذا تكلم العالم تقية والجاهل يجهل متى يتبين الحق » ولذلك لما قال له تلميذه أبو سعيد في محنته : يا إمام قلها فإن لك عيالا (يقصد بذلك أن يوافق الحاكم فيما يقول) فقال له الإمام انظر . فنظر فإذا خلق كثير كلهم معه ورقة وقلم ينتظر أن يكتب ما يقوله الإمام : ، ورجع تلميذه يصف له المشهد فقال له : « والله ما يكون لى أن أنجو بنفسى وأضل هؤلاء » . وكان ابن المبارك رحمه الله ينشد ويقول :

رأيت الذنوب تमित القلوب	*	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	*	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك	*	وأحبار سوء ورهبانها

فشبه علماء السوء من هذه الأمة بالأحبار والرهبان الذين باعوا دينهم بثمان بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . وكانوا يقولون : من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود . وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ﴾ (١) .

قال الإمام ابن كثير وفى حديث عدى قال : يارسول الله ما عبدوهم قال : بلى إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » ثم قال « فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون فى هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام ا . هـ . وقال أبو حازم : إن بنى إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء وكانت

(١) آل عمران (٧٩) .

لا تنه عن خلق وتأتي مثله — عارٌ عليك إذا فعلت عظيم —

فأعرف الحق تعرف أهله وأعرف الباطل تعرف من أتاه واعلموا أن هذا الأمر دين فانظروا ممن تأخذون دينكم والإسلام حاكم والناس محكوم عليهم ولا عبرة بقول أو بفعل صدر من إنسان وإن كان مشهوراً فخالف به كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون . فهيا بنا نرجع لعلماء الأمة المعبرين الذين سلكوا مسالك سلف الأمة في فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ .

الشهرة بالمال

تهافت الناس على المال وتطلعهم إلى المشاهير من أصحاب الملايين والبلايين أصبح سمة من سمات هذا العصر المادى ، بل البعض يرتحل ويهاجر تاركاً وطنه ودينه سعياً وراء المال . وقد استخدم اليهود وأشباههم سلاح المال فى إفساد الأخلاق وتلويت الأعراض والتحكم فى البلاد والعباد عن طريق الاقتصاد تارة وشراء العملاء والذم الخبرة تارة أخرى وإضعاف الأمم والشعوب بترويج المخدرات وإحداث الفتن والقتل بتمويل السلاح . ومن هنا كانت خطورة المال . والمال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمى وذلك المعنى إما لشدة حرصه أو تناوله من غير حله أو حبسه عن حقه أو إخراجه فى غير وجهه أو المفارقة به ولذا قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَى . أَنْ رَءَاهُ اسْتَغْنَى ﴾ (٣) وقد حكى لنا ربنا صوراً من الطغيان بالمال كطغيان قارون الذى قال ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٤) ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ (٥) وطغيان صاحب الجنتين الذى قال لأخيه المؤمن ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (٦) وقال النبى ﷺ : « تعس عبد الدينار تعس عبد

(٢) التغابن (١٥) .

(١) المنافقون (١٩) .

(٤) القصص (٧٨) .

(٣) العلق (٦) .

(٦) الكهف (٣٤) .

(٥) القصص (٧٦) .

الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» رواه البخارى . وقال أيضاً : « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفثيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأَمْضيت » رواه مسلم . وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم » رواه البخارى . وعن يحيى بن معاذ قال : الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيقته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه وقيل وما رقيقته ؟ قال : أخذه من حله ووضعته فى حقه ، وعنه رحمه الله : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل : وما هما ؟ فقال : يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله . والحرص على المال والرئاسة يستلزم الظلم والكذب والفواحش فى غالب الأحيان كما فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » . وعن كعب عن النبى ﷺ أنه قال « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قال الترمذى حديث حسن . فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين . وقال النبى ﷺ « من أصبح والدنيا أكبر همه شئت الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهى راعمة » وقال ﷺ « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه أحمد بسند صحيح . وكان البعض يقول متاع الغرور ما ألهى صاحبه عن طلب الآخرة وما لم يلهك عن طلب الآخرة فليس بمتاع غرور ولكن متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه . وكان أحد العلماء يقول كيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الجنة . وقالوا نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة وبئست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لئاليه وكان زاده منها النار . ولا يؤم مال العبد ولا يحجر عليه حتى وإن بلغ البلايين طالما أخذ من حله ووضع فى حقه .

الشهرة بالجاه والسلطان

الخلافة والإمارة لها بريقها ولعانها والناس عادة تبعاً لحكامهم وهم على قدرنا ونحن

على قدرهم وكما قالوا كيفما تكونوا يولى عليكم ولذلك قال ابن القيم نحن فى زمان لا يصلح أن يولى علينا فيه مثل معاوية بن أبى سفيان وعمر بن عبد العزيز فضلاً عن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وقد ضبط الإسلام أمر الحكم والرياسة كما ضبط سائر شعون الحياة : فالخلافة موضوعة لتطبيق الدين وسياسة الدنيا به والعدل هو أساس الملك ولا يمكن أن يتحقق إلا بالرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وقد ابتدأت الخلافة بأدم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ (١) ثم تلاه بنوه وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على التوحيد ثم دخل الشرك فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وكان من الأنبياء من هونى ملك كداود وسليمان ومنهم من كان عبداً رسولاً كرسول الله ﷺ قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢) والبيئات هى المعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات . والكتاب هو النقل الصدق والميزان هو العدل قاله مجاهد وغيره قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ قال ابن كثير « أى وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيانات ودلالات فلما قامت الحجة على من خالف ؛ شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب وألهم لمن خالف القرآن وكذب به وعانده ثم ساق حديث النبى ﷺ « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم » ا. هـ . وقد تكلم العلماء فى شروط الخلافة والإمارة وكيفية الوصول إلى الحكم . فلا يصح مثلاً للكافر أن يتولى إمرة المسلمين ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (٣) وتقديم الأمثل فالأمثل أمر واجب ولا بد من توافر القوة والأمانة بحسب الولاية ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ

(٢) الحديد (٢٥) .

(١) البقرة (٣٠) .

(٣) النساء (٤١) .

القَوِيُّ الْأَمِينُ»^(١) ولا يصح التزوير والكذب والخداع للوصول إلى هذه المناصب فهي أمانة وتكليف روى البخارى عن حذيفة أن النبى ﷺ قال لأهل نجران « لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين فاستشرف لها أصحاب النبى ﷺ فبعث أبا عبيدة » وقد رأى البعض الولايات مغنماً فانبهر بها وتطلع إليها ووافق فى سبيل تحصيلها وهو عار من أدواتها ومتطلباتها وهذه من أعظم صور الخيانة . روى أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستأتى على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويضة قيل وما الرويضة ؟ قال السفه يتكلم فى أمر العامة » قال ابن كثير جيد . وفى حديث جبريل وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها . وعن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع ابن لكع فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين » . الطبرانى فى الأوسط . وفى الصحيح « إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » وعن أبى هريرة قال « من أشراط الساعة أن يعلو التحوت الوعول أكذلك يا عبد الله بن مسعود سمعته من حبيبى ؟ قال نعم ورب الكعبة قلنا وما التحوت ؟ قال فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة يرفعون فوق صالحهم ، والوعول أهل البيوت الصالحة » رجاله رجال الصحيح وعند أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهب الدنيا حتى تصير للكع ابن لكع (وهو العبد الأحمق اللثيم) » صححه الألبانى ، فيصير نعيمها وملاذها والوجاهة فيها له وروى أحمد عن حذيفة « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » صححه الألبانى . وفى الصحيحين عن حذيفة فيما رواه عن النبى ﷺ فى قبض الأمانة « حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » فانظر كيف صارت المناصب العليا كقمم الجبال لا يصل إليها إلا الهوام والحشرات والولاية أمانة وهى يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى حق الله فيها .

(١) القصص (٢٦) .

الشهرة بالجمال

فالجمال له أسواق ومسابقات تتبارى النساء فيها في إظهار محاسنهن ومفاتنهن ويتم في هذه المسابقات انتخاب ملكة جمال القطر ثم ملكة جمال العالم أو الكون وهناك هيئات للتحكم ويتم الاختيار وفق شروط محددة وعلى أساسها يتم ترتيب الجميلات في العالم ولا يخفى على أحد مدى الفحش والتفحش والخلاعة والعري الذي يحدث في هذه المسابقات مما لا يستريب عاقل في حرمة المرأة مأمورة بستر زينتها عن الرجال الأجانب والأوامر الشرعية في حقها تحضها على الصيانة والتحفظ والتحجب والتباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك يقول تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ (٢) وقال ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (٣) وتبرج الجاهلية هو أن المرأة كانت تبرز خصلة من خصلات شعرها أو أنها كانت تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال ولاشك أن ما يحدث عند الشواطئ وفي هذه المسابقات أفصح من تبرج الجاهلية الأولى . قال تعالى ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ (٤) وهذه الآية يستدل بها على وجوب تغطية الوجه لأنه مكنم الفتنة ومنبع الخطر ولذلك اتفق العلماء على مشروعية تغطية الوجه إذا كانت المرأة بحضرة الرجال الأجانب عنها وقد ذهب بعض العلماء إلى استحباب ذلك والصحيح القول بوجوبه ومما يستدل به على ذلك أيضاً قول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ والجلباب يضرب من الرأس حتى القدم وتبرز المرأة عينها اليسرى قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وعطاء الخراساني وغير واحد . والجلباب أيضاً هو الملاة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع

(٣، ٤) النور (٣١) .

(٢) الأحزاب (٣٢) .

(١) الأحزاب (٣٣) .

(٥) الأحزاب (٥٩) .

والخمار . قال ابن تيمية : (فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن وهو ستر الوجه أوستر الوجه بالنقاب كان حينئذ الوجه واليدان من الزينة التي أمرت أن لا تظهرها للأجانب فما بقي يحل للأجانب النظر إلا للثياب الظاهرة وقال في موضع آخر الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تبدى ذلك للأجانب على أصح القولين بل لا تبدى إلا الثياب ا . هـ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدن عينا واحدة . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ ^(١) « خرج نساء الأنصار كأن رءوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها » ولو لم يكن ستر الوجه موجوداً على عهد رسول الله ﷺ لما قال « المحرمة لا تنتقب ولا تلبس القفازين » وبمفهوم المخالفة الغير محرمة تنتقب وتلبس القفازين . ولما استأذن المغيرة بن شعبة رسول الله ﷺ في أن يرى وجهه مخطوبته ولما كان السبب في إثارة الفتنة التي أدت إلى إجلاء بنى قينقاع عن المدينة عندما كشف اليهودى عن وجه الأنصارية ولما قالت عائشة رضى الله عنها : سددت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها وذلك عندما يمر بهم الركبان . وفي قصة الإفك قالت فخرت (أى غطيت وجهى بجلبابى) وكان يعرفنى قبل نزول آية الحجاب . وحديث أسماء فى كشف الوجه والكفين ضعيف ولو صح لحمل هو وغيره على الوضع قبل نزول آية الحجاب . ولما تخلف رجال يتحدثون فى بيت رسول الله ﷺ كانت السيدة زينب أم المؤمنين مولىة وجهها إلى الحائط وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ ^(٢) وروى أبو داود أن امرأة جاءت إلى النبی ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول فى الجهاد مع النبی ﷺ فقال لها بعض أصحاب النبی ﷺ : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ فقالت : إن أرزأ ابنى فلن أرزأ بحيائى . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : المرأة عورة ولم يستثن النبی ﷺ الوجه والكفين وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : كنا نغطى وجوهنا من الرجال

(٢) الأحزاب (٥٣)

(١) الأحزاب (٥٩)

تمشط قبل ذلك فى الإحرام . رواه أبو داود . وفى الموطأ للإمام مالك عن فاطمة بنت المنذر قالت : كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبى بكر الصديق فلا تنكره علينا وقد ورد فى فتح البارى عن عائشة رضى الله عنها : تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها فاتقى الله أيتها الأخت المسلمة واعلمى أن الدنيا لا تصلح عوضاً عن معنى من معانى الإيمان وأن الآخرة خير وأبقى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور والموت آت لا ريب فى ذلك وسعادة الدارين إنما تحدث بالاستقامة على شرع الله ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هَذَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (١) واحذرى وساوس شياطين الإنس والجن الذين يزخرفون لك الباطل وكأنه الحرية والمساواة واهتفى بنفسك قائلة ﴿قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فعلى الرجل أن يصون نساءه وأن يلزمهن طاعة الله . والحجاب الشرعى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٣) فالنبي ﷺ ما ترك فتنة بعده أضر على الرجال من النساء . ولن تزول قدما ابن آدم من عند الله حتى يسأل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول والحفظ بدين الله أوكد من الإتيان بالطعام والشراب ومهمة الرجل لا تقتصر على مجرد الإتيان بهذه الأشياء . فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصى ، أجسامكم على النار لا تقوى واعلموا أنكم غداً بين يدى الله موقوفون وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

الشهرة بالرياضة

كان النبي ﷺ يقول لأصحابه : « ارموا وأنا معكم » رواه البخارى . وقال أيضاً « عليكم بالرمى فإنه خير لكم » رواه الطبرانى والبخارى بإسناد جيد وفى تفسير قوله تعالى ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال النبي ﷺ : « ألا إن القوة الرمى . ألا إن القوة

(١) طه (١٢٣-١٢٤) .

(٢) التحريم (٦) .

(٣) الأنعام (١٥) .

الرمى . ألا إن القوة الرمي . » زواه مسلم وكان على بن أبي طالب عداً (سريع الجرى) وكان سلمة بن الأكوع يسابق الخيل فيسبقها وكان النبي ﷺ أحياناً يأمر الركب فينطلق ثم يسابق السيدة عائشة رضى الله عنها قالت أم المؤمنين : سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته فلبثت حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى فقال : « هذه بتلك » . وذلك لأنها سبقته فى المرة الأولى . رواه أحمد وأبو داود وقد صارع النبي ﷺ ركابة فصصره ثلاث مرات وكان ركابة من مشاهير العرب بالقوة وكان النبي ﷺ يقول للحبشة وهم يلعبون بالحرايب فى المسجد : « دونكم بنى أرفدة » وكان يقول للسيدة عائشة رضى الله عنها : تشبهين نظرين . وتروى رضى الله عنها وتقول : « لقد رأيت النبي ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » متفق عليه . وقال رسول الله ﷺ « الخيل معقود بنواصيها الخير » رواه أحمد . وقال « ارموا واركبوا » رواه مسلم وقال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة » رواه الطبرانى بإسناد جيد . وعن ابن عمر أن النبي ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق » رواه أحمد . وقيل لأنس : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ . أكان رسول الله ﷺ يراهن ؟ قال : نعم والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة فسبق الناس فهش لذلك وأعجبه » رواه أحمد . وقال : الخيل ثلاثة ، فرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان . فأما فرس الرحمن فالذى يرتبط فى سبيل الله ، فعلفه وروثه وبوله ، وذكر ما شاء الله وأما فرس الشيطان فالذى يقامر أو يراهن عليه . وأما فرس الإنسان فالذى يربطه الإنسان يلتمس بطنها فهى ستر من فقره متفق عليه . والرهان المباح هو الذى يبعد عن كل شبهة بأن يئذل من غير المتسابقين (كجمعية خيرية أو بعض المحسنين أو تنظمه الدولة) أو من أحدهما فقط . فأما إذا بذل كل منهما جعلاً (كما هو الحال الآن فى أندية السباق) على أن من سبق منهما أخذ الجعلين معاً فهو القمار المنهى عنه وهذه الفرس التى يقامر عليها هى فرس الشيطان ، وثمنها وزرأ وكذلك علفها وركوبها . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليشوا على ظهور الخيل وثباً » . وأنت إذا

تأملت هذه الرياضات وجدتها نافعة ومفيدة للفرد وللأمة وهي أيضا من معاني القوة التي أمرنا بالأخذ بأسبابها ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي المقابل أشياء نهى عنها الشرع لخلوها من المنفعة الحقة والمصلحة الجائزة ومن ذلك أن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضاً « متفق عليه وذلك لما فيه من تعذيب الحيوان وإتلاف نفسه وإضاعة المال . ونهى النبي ﷺ عن التحريش بين البهائم » رواه أبو داود والترمذي . وقد كان العرب يأتون بكبشين أو ثورين يتناطحان حتى يهلكا أو يقاربا الهلاك وفي هذا إهلاك للحيوان دون فائدة لمجرد العبث واللعب والضحك . ولا تجوز المقامرة ، وقد قال النبي ﷺ : « لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل » . فالمرهنة وأخذ الرهن جائز بلا خلاف بين علماء المسلمين في سباق الخيل والإبل وفي الرماية وهي المناضلة . ومن الرياضات الجائزة : المصارعة والسباحة والجرى على الأقدام أو الدراجات أو السيارات وحمل الأثقال وسباق الزوارق البحرية وحل المسائل العلمية . ومن الألعاب المحرمة : اللعب بالنرد أو الطاولة حتى وإن خلا من القمار لقول النبي ﷺ : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » رواه مسلم . وروى أبو موسى عن النبي ﷺ « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه . وكذلك لا يجوز اللعب بالشطرنج وقد مر على بن أبي طالب على قوم يلعبون بها فقال لهم : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون . وهي شر من النرد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية . وهي لعبة محرمة حتى وإن خلت من القمار والعوض . وقال على هو من الميسر . وقال ابن عمر : هو شر من النرد . وكذلك لا تجوز ألعاب الورق (البلوت والكوتشينة) . وقد قال الشيخ ابن باز حفظه الله عنها - وعن الشطرنج (لا تجوز هاتان اللعبتان وما أشبههما لكونهما من آلات اللهو ولما فيهما من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وإضاعة الأوقات في غير حق ولما قد تفضى إليه من الشحناء والعداوة هذا إذا كانت هذه اللعبة ليس فيها عوض أما إن كان فيها عوض مالى فإن التحريم يكون أشد لأنها بذلك تكون من أنواع القمار الذى لاشك فى تحريمه ولا خلاف فيه والله ولى التوفيق ا . هـ . ولقد سئلت لجنة الفتوى بالسعودية عن حكم هذه اللعبة التى ظهرت فى

الأسواق ويلعبها الأطفال والشبان وهى مركبة من منضدة فيها تماثيل لاعبي كرة القدم ويوضع فيها كرة صغيرة تحرك بالأيدى فمن غلب يدفع أجرة اللعبة إلى صاحبها والغالب لا يدفع شيئاً فهل يجوز هذا وأمثاله فى الشريعة الإسلامية ؟

والجواب : إذا كان حال هذه اللعبة ما ذكرت من وجود تماثيل بالمنضدة التى يلعب عليه ودفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة لصاحبها فهى محرمة لأمر :

أولاً : إن الاشتغال بهذه اللعبة من اللهو الذى يقطع على اللاعب بها فراغه ويضيع عليه الكثير من مصالح دينه ودنياه وقد يصير اللعب بها عادة له وذريعة إلى ما هو أشد من ذلك من أنواع المقامرة وكل ما كان كذلك فهو باطل محرم شرعاً .

ثانياً : صنع التماثيل والصور واقتنائها من كبائر الذنوب للأحاديث الصحيحة التى توعده الله تعالى وتوعده رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم .

ثالثاً : دفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة محرم لأنه إسراف وإضاعة للمال بإنفاقه فى لعب ولهو وإيجار اللعبة عقد باطل وكسب صاحبها منها سحت وأكل للمال بالباطل فكان ذلك من الكبائر والقمار المحرم . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . هـ .

وقد نهى النبي ﷺ عن ضرب الوجه (كما فى الملائكة) وقال : « ولا تضرب الوجه » وذلك لأنه مجمع الأعضاء الحساسة الدقيقة . وهناك ألعاب قد تفضى إلى الموت كما فى المصارعة الحرة وأشباهاها حيث يعتمد كل لاعب إلى ضرب خصمه فى الأماكن القاتلة وكل هذا لا يجوز شرعاً .

القرار الثالث من قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي الدورة العاشرة

بشأن موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة ومصارعة الثيران

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م قد نظر في موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة من حيث عدهما رياضة بدنية جائزة وكذا في مصارعة الثيران المعتادة في بعض البلاد الأجنبية هل تجوز في حكم الإسلام أو لا تجوز ؟ .

وبعد المداولة في هذا الشأن من مختلف جوانبه والنتائج التي تسفر عنها هذه الأنواع التي نسبت إلى الرياضة وأصبحت تعرضها برامج البث التلفزيوني في البلاد الإسلامية وغيرها . وبعد الاطلاع على الدراسات التي قدمت في هذا الشأن بتكليف من مجلس المجمع في دورته السابقة من قبل الأطباء ذوي الاختصاص وبعد الاطلاع على الإحصائيات التي قدمها بعضهم عما حدث فعلاً في بلاد العالم نتيجة لممارسة الملاكمة وما يشاهد في التلفزة من بعض مآسي المصارعة الحرة قرر مجلس المجمع مايلي :

أولاً : الملاكمة :

يرى مجلس المجمع بالإجماع أن الملاكمة المذكورة التي أصبحت تمارس فعلاً في حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرمة في الشريعة الإسلامية لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاءً بالغاً في جسمه قد يصل به إلى العمى أو التلف الحاد أو المزمن في المخ أو إلى الكسور البليغة أو إلى الموت دون

مسئولية على الضارب مع فرح الجمهور المؤيد للمتضرر والابتهاج بما حصل للآخر من الأذى وهو عمل محرم مرفوض كلياً وجزئياً في حكم الإسلام لقوله تعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وقوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ وقوله ﷺ : « ولا ضرر ولا ضرار » وعلى ذلك فقد نص فقهاء الشريعة على أن من أباح دمه لآخر فقال له : (اقتلني) أنه لا يجوز له قتله ولو فعل كان مسئولاً ومستحقاً للعقاب . وبناء على ذلك يقرر المجمع أن هذه الملائكة لا يجوز أن تسمى رياضة بدنية ولا تجوز ممارستها لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر ويجب أن تحذف من برامج الرياضة المحلية ومن المشاركات فيها في المباريات العالمية كما يقرر المجلس عدم جواز عرضها في البرامج التلفازية كيلاً تتعلم الناشئة هذا العمل السيئ وتحاول تقليده .

ثانيا : المصارعة الحرة :

وأما المصارعة الحرة التي يستباح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به فإن المجلس يرى فيها عملاً مشابهاً تمام المشابهة للملاكمة المذكورة وإن اختلفت الصورة لأن جميع المحاذير الشرعية التي أشير إليها في الملاكمة موجودة في المصارعة الحرة التي تجرى على طريقة المصارعة وتأخذ حكمها في التحريم . وأما الأنواع الأخرى من المصارعة التي تمارس لمحض الرياضة البدنية ولا يستباح فيها الإيذاء فإنها جائزة شرعاً ولا يرى المجلس مانعاً منها .

ثالثاً : مصارعة الثيران :

وأما مصارعة الثيران المعتادة في بعض بلاد العالم والتي تؤدي إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح فهي أيضاً محرمة شرعاً في حكم الإسلام لأنها تؤدي إلى قتل الحيوان تعدياً بما يغرس في جسمه من سهام وكثيراً ما تؤدي هذه المصارعة إلى أن يقتل الثور مصارعه ، وهذه المصارعة عمل وحشى يأباه الشرع الإسلامى الذى يقول رسوله المصطفى ﷺ في الحديث الصحيح : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض » فإذا كان هذا

الحبس للهرة يوجب دخول النار يوم القيامة فكيف بحال من يعذب الثور بالسلاح حتى الموت ؟ .

رابعاً : التحريش بين الحيوانات :

ويقرر المجمع أيضاً تحريم ما يقع في بعض البلاد من التحريش بين الحيوانات كالجمال والكباش والديكة وغيرها حتى يقتل أو يؤذى بعضها بعضاً .
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين . ١ . هـ .

وقد انتشرت في بلادنا لعبة كرة القدم وتحرص أعداد كبيرة على مشاهدة مبارياتها وهي رياضة لا تخلو من كشف للأفخاذ وإضاعة للصلوات في أوقاتها وفي جماعة وناهيك عن البغضاء والشحناء والعصبية التي هي أشبه بعصبية الجاهلية الأولى وهي لعبة تضيع على البلاد والعباد كثيراً من مصالح الدين والدنيا وفيها أيضاً إسراف ووضع للمال الكثير على مجرد النظر إلى المباراة وبالجملة فهي رياضة غير مفيدة بل أين هي من السباحة والرماية والجري وغير ذلك من ألعاب القوة . ومن عجيب الأمر مشاركة النساء أيضاً في ألعاب كثيرة كالتنس وكرة السلة والسباحة والجري الأمر الذي يدعو المرأة إلى التكشف والاختلاط بالرجال وإثارة الفتن الأمر الذي يقطع بحرمة . وكما ترى فهي ألعاب كثيرة وكل لعبة لها مشاهيرها والشهرة كما تتم بالحلال تتم أيضاً بالحرام والورع من الدين كما قال العلماء فلا أقل من ترك الحرام الواضح البين تعظيماً لحرمة الله تعالى والوقوف عند حدود ما أنزله سبحانه .

فتوى اللجنة في كرة القدم

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله :

ماهو الحكم في رؤية مباريات الكرة التي تلعب على كأس أو منصب من المناصب كاللعب على دورى أو كأس مثلاً فقد سمعت من بعض الأخوة أنه لا يجوز رؤية هذه المباريات على حكم أنها تشبه عملية المراهانات والقمار ؟

فأجابت : مباريات كرة القدم حرام وكونها على ما ذكر من كأس أو منصب أو غير ذلك منكر آخر إذا كانت الجوائز من اللاعبين أو بعضهم لكون ذلك قماراً وإذا كانت الجوائز من غيرهم فهي حرام لكونها مكافأة على فعل محرم وعلى هذا فحضور هذه المباريات حرام . ١ . هـ

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الشهرة بالأدب

فما من يوم يمر إلا ومئات الكتب تدفع إلى الأسواق تخاطب الكبار والصغار والرجال والنساء شعراً ونثراً وعالم الأدب ملئ بالكتاب والمفكرين والأدباء والشعراء وقد انتشر في الآونة الأخيرة ما يسمى بأدب الجنس والأدب الغريزي أو الأدب المكشوف ولا شك أن كل كلمة لها حكمها وهذا الحكم يرجع فيه لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وليس للجان التحكيم المشبوهة والتي لا ميزان عندها إلا إشاعة الفسق والكفر والفجور في البلاد والعباد ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك هذه الجائزة التي نالها الكاتب نجيب محفوظ والتي تسمى بجائزة نوبل وذلك على كتابه « أولاد حارتنا » والتي انهال فيها تنقصاً وتجريحاً ليس فقط لأنبياء الله ورسله وإنما أيضاً لرب العزة جل وعلا . تعالى الله عما يقوله الظالمون والجاحدون علواً كبيراً . ثم بعد ذلك بفترة وجيزة نال الخبيث سلمان رشدي أعلى جائزة في بريطانيا على كتاب يتشابه مع قصة نجيب محفوظ في موضوعه وهو كتاب « آيات شيطانية » ومن الخطأ الكبير أن نطلق على هذه الكتابات اسم الأدب فهي في الحقيقة قلة أدب أو سوء أدب . وقد أمرنا أن نسمى الأشياء بأسمائها والجهات المشبوهة تستثمر أمثال هؤلاء الكتاب وكتاباتهم في الكيد للإسلام وأهله وتعمد إلى إضفاء الشهرة على هؤلاء الخبيثاء بإبراز أعمالهم وإعطائهم أمثال هذه الجوائز ولا يخفى علينا هذه الحرب الضروس التي يشنها أعداء الإسلام من يهود ونصارى وملاحدة على هذه الأمة مستخدمين في ذلك كل الأسلحة ومن أشدها الغزو الفكري ولم يعدوا وجود بعض منحرفي الفكر والعقيدة ممن ينتسبون لهذه الأمة ليروجوا لهم مخططاتهم التي تهدف لإضعاف هذه الأمة بإبعادها عن دينها الذي هو سبب قوتها ومصدر عزها

وسعادتها . وما من يوم يمر إلا وتجد سيلاً منهمراً من الكتب منها ما يدعو لنظريات وفلسفات كفرية كالوجودية والإباحية وغيرها ، ومنها ما يدعو لأخذ ما عليه الغرب حتى من تحلل وضياح ومنها ما يدعو لتحرر المرأة وانفلاتها بلا رقابة من دين أو خلق ، ومنها ما ينشر الخزعبلات والخرافات والأساطير فى نفوس أطفال المسلمين ، ومنها أيضاً ما يشيع الفحش والتفحش والجريمة فى جسد الأمة وكل ذلك يفعلونه تحت اسم الحرية الشخصية وحرية الرأى وحرية الفكر والتعبير وما يدور فى الغرب والشرق يدور مثله فى بلدان المسلمين التى تؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً . بل ولم تسلم الكتب الدراسية فى مختلف المراحل التعليمية من هذا الدس والتشويه وكان الواجب أن تتم مراجعة دقيقة لكل ما يقال ويكتب وينشر فى أوساط المسلمين حتى لا يسمح لشيء يخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن ينتشر . ولاوسع الله على من لم يسعه ماوسع سلف الأمة رضوان الله عليهم فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لكاتبه وقد كتب هذا ما أرى الله أمير المؤمنين - امحه واكتب هذا ما أرى عمر بن الخطاب وكان وهو محدث هذه الأمة بشهادة رسول الله ﷺ إذا عرضت عليه المسألة يقول أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسى ومن الشيطان والله منه برىء . وكان الصديق قبله رضى الله عنه يقول أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت فى القرآن برأى ثم يأتى العلماء من بعدهم وكلهم يرجع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً فما وافق الكتاب والسنة قبل وما خالفهما رد على صاحبه كائناً من كان وذلك لأن كل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ بل حرم الإمام أبو حنيفة أن يفتى أحد بقوله إلا إذا علم دليله حيث يقول : (حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتى بقولى فإنما أنا بشر أقول القول اليوم وأرجع عنه غداً) وهكذا كان تعظيمهم لشرع الله وخوفهم من مخالفة الكتاب والسنة ونحن إذا حكمنا هذا الضابط سنجد أن قصص القرآن كله حق وكله صدق يشيع الإيمان والطهر والعفاف ويدعو إلى كل خير ويزجر عن كل شر ﴿ وبالحق أنزلناه وبحق نزل ﴾ فيه كفاية بإذن الله وسيرة النبى ﷺ والصحابة الكرام وعلماء الأمة وصالحيتها تغنى عن سير من سواهم . والشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه ينشد بالمسجد بحضرة رسول الله

ﷺ والكتابة بصفة عامة يجب أن تهدف لإعلاء كلمة الله في الأرض أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وجهاد الكلمة صورة محمودة ومشروعة من صور الجهاد والنبى ﷺ يقول : « جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألستكم » والنبى ﷺ جاهد الكفار بالسيف والسنان وجاهد المنافقين بالحجة والبيان ، وإذا كانت الكلمة المكتوبة أشد تأثيراً وأوسع انتشاراً من الكلمة المسموعة فعلينا بتقوى الله فيما نقول ونكتب فقد قال ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » رواه البخارى ومسلم وقال « من يتكفل لى مابين لحية ورجليه أتكفل له الجنة » رواه البخارى . وقال معاذ بن جبل قلت : يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال : « يا ابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم وصححه على شرط البخارى ومسلم . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم ، من قبل أن تندم . وقال الأوزاعى : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يغييه . وقال يونس بن عبد الله : ما من الناس يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك فى سائر عمله . وقال أبو بكر بن عياش : اجتمع أربعة ملوك : ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم : أنا أندم على ماقلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآخر : إني إذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكنى : وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمة ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت قال الله عز وجل : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) قال عطاء : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو أن تنطق لحاجتك فى معيشتك التى لا بد لك منها أنتكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين . عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟! أما

(١) النساء (١١٤) .

يستحي أحدكم إذا نشرت صحيفته التي أملاها صدر نهاره كان أكثر مافيه ليس من أمر دينه ولا دنياه؟ وقال ابن عمر : إن أحق ما طهر الرجل لسانه .

القرار الثاني

بيان من الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بشأن الرواية التي كتبها المدعو سلمان رشدي وما تضمنته من إساءات واعتداءات على عقائد وشخصيات إسلامية معظمة .
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي وقد آلمها كما آلم سائر المسلمين ما اشتمل عليه كتاب المدعو سلمان رشدي من التشويه المتعمد للدين الإسلامي والإساءات الشنيعة للشخصيات الإسلامية تعلن ماقرره مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩ إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م حول الرواية المذكورة وجاء في القرار مايلي :

إن الرواية التي كتبها وأصدرها المدعو سلمان رشدي الهندي الأصل من أسرة مسلمة والبريطاني الجنسية ... تلك الرواية التي نشرت باللغة الإنكليزية في كتاب بعنوان «آيات شيطانية» نقلت الصحف العالمية العربية الإسلامية والأجنبية فقرات منها ... وقد نشرت الكتاب دار بنجوين للنشر في بريطانيا وفايكنج في الولايات المتحدة الأمريكية ... وأعقت الرواية المذكورة ضجة استنكار في الأوساط الإسلامية وغيرها بسبب ما جاء فيها من ألفاظ نابية وافتراءات على الإسلام ومقدساته وقد نظر المجلس في بعض الفقرات والفصول التي تضمنتها الرواية المذكورة فرأى مجلس المجمع الفقهي فيها أبشع وأقذر صورة للافتراءات والأوصاف التي يصف فيها ذلك الكاتب نبي الإسلام سيدنا محمداً رسول الله وزوجاته أمهات المؤمنين وغير ذلك من المستنكرات حتى أنه

يتهم على خليل الله سيدنا إبراهيم بكلمات لا تليق بحرمة الأنبياء ويصف أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ بكلمات من سافل الكلام الذى يخرج عن نطاق الكلام التاريخى أو العلمى أو الأدبى ويدخل فى نطاق التعبدى على المقدسات الاعتقادية الإسلامية بصورة تجرمها وتعاقب عليها قوانين جميع البلاد المتقدمة التى يحكمها نظام دستور وقوانين تحفظ الحقوق والكرامات لأن ما جاء فى تلك الرواية يتجاوز نطاق حرية الآراء ويدخل فى نطاق العدوان والإيذاء بالكلام السافل الذى يمس الكرامات المحترمة المصونة . وقد تداول مجلس المجمع الفقہى فى هذا الموضوع الخطير وما يجب سلكه تجاه هذا العدوان السافل على الحرمات الإسلامية المقدسة وانتهى المجلس إلى القرار التالى :

(١) يرى المجلس أن ماورد فى هذا الكتاب المسمى (بالآيات الشيطانية) من المفتریات المشار إليها لا يستحق أن يواجه بردود علمية لأنه من قبيل الشتائم والأوصاف البذيئة وليس آراء علمية أو تاريخية تستوجب الرد العلمى .

(٢) يقرر المجلس استنكار هذا العمل الصادر عن هذا المجرم ويعلن المجلس أن هذا الرجل بعمله هذا يعتبر مرتدأ عن الإسلام الذى نشأ فى ظله وإنه يستحق أن يطبق عليه ماتنص عليه الشريعة الإسلامية .

(٣) يعلن المجلس أنه يجب ملاحقة هذا الشخص بدعوى قضائية جزائية تقام عليه وعلى دار النشر التى نشرت له هذه الرواية فى المحاكم المختصة فى بريطانيا وأن تتولى رفع هذه الدعوى عليه منظمة المؤتمر الإسلامى التى تمثل الدول الإسلامية وأن توكل فى هذه الدعوى أقوى المحامين المتمرسين فى القضايا الجنائية أمام محاكم الجزاء البريطانية ممن يوثق بأمانتهم المسلكية .

(٤) يعلن المجلس أنه يجب أن تقام أيضاً على هذا الكاتب السافل دعوى جزائية فى بلد إسلامى من قبل النيابة العامة فيه يحاكم فيها غيائياً ويحكم عليه بما توجبه الشريعة الإسلامية فى أمثاله حتى ولو لم يكن لهذا الحكم مجال تنفيذى فورى - ويعلن ذلك

إعلامياً وذلك للتعبير عن سخط المسلمين في العالم على هذا الأسلوب من العدوان السافل .

(٥) يقرر المجلس أن الاعتذار الذي قدمه هذا الكاتب إلى المراجع البريطانية ونشرته الصحف وقال فيه : إنه يأسف لأنه أساء إلى مشاعر المسلمين هو اعتذار فارغ لا محصل له ولا يغير شيئاً من افتراءاته الشنيعة لأن الاعتذار في مثل هذه الحال يجب أن يتضمن الإقرار والاعتراف بأن ما ذكره في كتابه إنما هو محض كذب وافتراء وإنه غير صحيح وأن ينشر ذلك في وسائل الإعلام الموازية لتلك التي نشر فيها أكاذيبه .

(٦) يدعو المجلس الحكومات والشعوب والأفراد في البلدان الإسلامية وغيرها إلى مقاطعة دور النشر التي نشرت هذا الكتاب المسمى (آيات شيطانية) أو ساعدت على نشره أو دفعت مكافأة لمؤلفه أو قدمت جائزة له مقاطعة تامة في الكتب التي تنشرها تلك الدور أيا كانت صفتها وألا تتعامل معها بأية صورة وإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي إذ تنشر قرار الجمع الفقهي الإسلامي بعد أن حذرت العالم الإسلامي عن خطورة الكتاب بوضوح ضرورة مقاطعة دار النشر الذي تولت تمويل الكتاب ونشره تهيب بكل مسلم على وجه الأرض وبخاصة في بريطانيا وأمريكا حيث نشر الكتاب أن يكشف زيف هذا الكتاب وأن يحث إخوانه المسلمين والأشخاص المحبين للصدق والإنصاف على مقاطعة دار النشر التي أصدرته والدور الأخرى المتعاونة معها على توزيعه وتسويقه والله الموفق اهـ

الشهرة بالفن

والفنون كثيرة ومتنوعة فمنها الرسم والتصوير والنحت والموسيقى والغناء والتمثيل والرقص وكل فن من هذه الفنون له صور كثيرة متعددة مثل الفن التشكيلي والفن السريالي والموسيقى الخفيفة والتصويرية والتمثيل المسرحي والسينمائي والرقص الشعبي والباليه ، وكل فن من هذه الفنون له مشاهيره وقد تنوعت مواهب الناس وتوزعت هواياتهم وللإسلام حكمه في كل صورة من هذه الصور كما أن له حكمه في كل

حركة وسكنة وقول وفعل والواجب على العباد جميعاً أن يستقيموا على شرع الله فيحلون الحلال ويحرمون الحرام فلا عبرة بكثرة انحرفت عن كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١) ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٣) وكما قالوا اسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغثر بكثرة الهالكين . وقالوا أيضاً : أتعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من آتاه . وليس لنا أن نقلد أحداً خالف دين الله كائناً من كان ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه « لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن وإن كفر كفر » . والباطل مردود على صاحبه وإن كان مشهوراً . ولا يكونن أحدكم إمعة إن أحسن الناس أحسنتم وإن أساءوا أسأتم ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تهمسوا وإن أساءوا أن تجتبوا إساءتهم ، فانتشار الأمر وظهوره وكثرة من يعمل به لا يعطيه صفة المشروعية إن خالف الحق . والهواية والموهبة والمشاعر والأحاسيس لابد من إخضاعها لهذا الميزان الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هذا ولما كانت البلية كبيرة والفتنة عظيمة بهذه الفنون كان لابد من كلمة تفصيلية عن هذه الصور التى عمت بها البلوى وطمت .

حكم الرسم والتصوير والنحت

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير » رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها (يعنى الروح) وليس بنافخ » رواه أحمد والبخارى والترمذى وفى حديث ابن عباس جواز تصوير الشجر ونحوه مما لا روح فيه ، فعند مسلم قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : إني رجل أصور هذه الصور فأقتنى فيها فقال له : ادن منى فدنا منه ثم قال : ادن منى فدنا حتى وضع يده على

(٢) يوسف (١٠٣) .

(١) الأنعام (١١٦) .

(٣) يوسف (١٠٦) .

رأته قال أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم » وقال : « إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر ومالا نفس له » . ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون » رواه أحمد والشيخان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً وإمام ضلالة وممثل من الممثلين » رواه أحمد . قال الخطابي : إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل . قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح . هـ وعن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : « لعن المصورين » رواه أحمد والبخاري . وفي رواية لمسلم : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله » وفي رواية عائشة رضي الله عنها قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » متفق عليه . وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأيتها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وعد النبي ﷺ جبريل فراث عليه حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقية فشكا إليه ما وجد فقال له : إنا لاندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب » رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل فقال إني كنت أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان في باب البيت تمثال الرجال وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فأمر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وأمر بالستر فليقطع ويجعل منه وسادتين متبذتين توطآن وأمر

بالكلب فيخرج ففعل رسول الله ﷺ وكان ذلك الكلب جرواً للحسين أو للحسن تحت نضد له فأمر به فأخرج » رواه أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه ، وعن أبي طلحة صاحب رسول الله ﷺ إنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة » قال بشر : ثم اشتكى زيد بعد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول فقال عبيد الله ألم تسمعه حين قال إلا رقماً في ثوب » رواه أحمد والشيخان .

الخلاصة :

يحرم تصوير ذوات الأرواح أو رسمها أو نحتها سواء كانت لإنسان أو حيوان وسواء كانت للذكرى أو لغيرها بالكاميرا أو باليد ، في ثوب أو في ورقة ، لها ظل أو ليس لها ظل وعلّة المضاهاة في الصور الفوتوغرافية أو كد منها من المرسومة باليد ولذلك فهي تستخدم في تعقب المجرمين ويجب طمس الصور عند الاستطاعة مع التأدب بآداب الإنكار حتى لا تستجلب مضرة تغلب المصلحة . وتطمس صورة المرأة كلها وبالنسبة للرجل يطمس الوجه ، والسلع والأشياء المباحة التي تشتمل على تصاوير كعلب الحلوي يحل الانتفاع بها وبيعها وشرؤها مع طمس التصاوير التي بها ويستثنى من هذه التصاوير ما خلا من الروح كالشجر والسماء والبحر على قول ابن عباس رضي الله عنهما وتباح التصاوير للحاجة أو الضرورة كالتصوير للبطاقات الشخصية وجواز السفر وتعقب المجرمين والتصوير للطب والجغرافيا ويقتصر في ذلك على قدر الحاجة أو الضرورة طالما في الأمر فائدة متحققة ولا تتيسر هذه الفائدة بطريق أصله مباح . وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تلعب بالبنات فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي لى بصواحيب يلعبن معي . أخرجه البخاري ومسلم وكان لها فرساً له جناحان من رقا . قال الحافظ « واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريهن من صغرن على أمر بيوتهن وأولادهن » أيضاً عن الربيع بنت معوذ قالت : أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأمصار من أصبح

مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم ، قالت فكنا نصوم بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم » رواه البخارى . ووجود الصورة لا يبطل ولا يفسد الصلاة وليس من شرط صحتها عدم وجود التماثيل بالمكان ولكن لا بد من العمل على إزالتها متى وجدت الاستطاعة . وإذا لم تزل المنكر فزل متى استطعت ذلك . والنظر إلى الصورة لا يغنى عن النظر إلى المخطوبة ولا مصلحة فيه . وقد مر بنا كيف أن قوم نوح صوروا التماثيل للصالحين لتذكركم ثم عبدوا هذه التماثيل ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ (١) وقول البعض بإباحة التماثيل لأن الشرك قد انتهى هو قول من أفسد الفساد وأبطل الباطل والواقع يرد عليه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنكم لن تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذى الخلصة - وذو الخلصة صنم كانت تعبده دوس بقبالة وكان قد هدم إلا أن الناس يعبدونه مرة ثانية ولن تقوم الساعة حتى تطوف به النساء على النحو المبين . وقد عمت البلوى بإقامة التماثيل فى الميادين العامة وهنا وهناك للزعماء والقادة والعظماء مما لا فائدة فيه بل فيه التشبه بالكفار عبدة الأصنام ثم فتنة الرسامين والناس بالتماثيل وخصوصاً إذا كانت دقيقة أمرها لا يكاد يخفى على أحد . قال النووى (وهو من علماء الشافعية) قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور فى الأحاديث وسواء صنعه بما يمتن أو بغيره فصنعه حرام بكل حال لأن فيه مضاهاة لخلق الله وسواء ما كان فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها . قال ولا فرق فى هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له هذا تلخيص مذهبنا فى المسألة وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهو مذهب الثورى ومالك وأبى حنيفة وغيرهم . ١ . هـ .

(١) نوح (٢٣) .

فتاوى هامة تتعلق بالتصوير

سئلت لجنة الفتوى بالسعودية « ورد لعن المصورين - بالـ المصورين - بالفتح - وهل ورد فيهم دليل خاص ؟ » .

الجواب : كما أن الأدلة وردت في لعن المصورين وتوعدهم بالنار في الدار الآخرة فكذلك الذى يقدم نفسه من أجل أخذ صورة له داخل في ذلك قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْذَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ ﴾ (١) وقال تعالى في قصة ثمود ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا ﴾ (٢) قال عبد الواحد بن زيد : قلت للحسن : أبأ سعيده أخبرني عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب إلا أنه رضى بقلبه قال : يابن أخى كهذا عقرت الناقة قال فعلت يد واحدة قال أليس قد هلك القوم جميعاً برضاهم وتساليهم رواه الإمام أحمد في الزهد فهاتان الآيتان تدلان على أن الراضى بالفعل كالفاعل ولا يدخل في ذلك من اقتضت الضرورة أن يأخذ صورة له .

س : هل يجوز التصوير بالكاميرا « آلة التصوير » وهل يجوز التصوير بالتلفزيون وهل يجوز مشاهدة التلفزيون وخاصة في الأخبار ؟

الجواب : لا يجوز تصوير ذوات الأرواح بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير ولا اقتناء صور ذوات الأرواح ولا الإبقاء عليها إلا لضرورة كالصور التى تكون بالتابعة أو جواز السفر فيجوز تصويرها والإبقاء عليها للضرورة إليها وأما التلفزيون فآلة لا يتعلق بها فى نفسها حكم وإنما يتعلق الحكم باستعمالها فإن استعملت في محرم كالغناء الماجن وإظهار صور فاتنة وتهريج وكذب وافتراء وإلحاد وقلب للحقائق وإثارة الفتن إلى أمثال ذلك فذلك حرام وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن وإبانة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أمثال ذلك فذلك جائز وإن استعمل فيهما (أى فى الحلال والحرام) فالحكم

(٢) الشمس (١١، ١٥، ...)

(١) النساء (١٤٠) .

محريم إن تساوى الأمران أو غلب جانب الشر فيه أ. هـ .

وسئل الشيخ ابن باز حفظه الله عن التصوير الفوتوغرافي الشمسي وشراء المجلات والجرائد المليئة بالصور والنظر إلى التلفاز .

فأجاب : أولاً : التصوير الفوتوغرافي الشمسي من أنواع التصوير المحرم فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان والصور المجسمة سواء في الحكم والاختلاف في وسيلة التصوير وآلته لا يقتضى اختلافاً في الحكم وكذا لا أثر للاختلاف فيما يبدل من جهد في التصوير صعوبة وسهولة في الحكم أيضاً وإنما المعتبر الصورة فهي محرمة وإن اختلفت وسيلتها وما بذل فيها من جهد .

ثانياً: ظهور صورتى فى مجلتى المجتمع والاعتصام مع فتاوى فى أحكام الصيام فى شهر رمضان ليس دليلاً على إجازتى التصوير ولا على رضاى به فإنى لم أعلم بتصويرهم إياى .

ثالثاً : المجلات والجرائد التى بها أخبار مهمة ومسائل علمية نافعة وبها صور لذوات الأرواح يجوز شراؤها والانتفاع بما فيها من علم مفيد وأخبار مهمة لأن المقصود منها ما فيها من العلم والأخبار والصور تابعة والحكم يتبع الأصل المقصود إليها دون التابع ويجوز وضعها فى المصلى مع إخفاء ما فيها من الصور بأى شكل لينتفع بما فيها من مقالات أو طمس رؤوس الصور بما يذهب معالمها .

رابعاً : لا يجوز وضع التلفاز فى المصلى لما فيه من اللهو الباطل ولا يجوز النظر إلى ما فيه من الصور العارية والخليعة وقد صدرت فتوى فى حكم التلفاز وما يتعلق به من سماع ونظر إلى ما فيه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . أ. هـ .

حكم الموسيقى والغناء

يحرم الغناء إذا اشتمل على محرم أو دعا إليه كتشبيب بمعين وهجاء وتشبه بالنساء وتهيج لفاحشة ولحوق بأهل الخلاعة والمجون وصرف الوقت إليه فضاعت بسبب ذلك

المصالح والواجبات وكذلك يحرم إذا اشتمل على المعازف فعند البخارى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى ﷺ يقول « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر (أى الزنى) والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم - يأتيهم - يعنى الفقير لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غداً فيبتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » وقد أورده البخارى فى كتاب الأشربة « باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه » وقد استدلل العلماء من الصحابة فمن بعدهم على حرمة الغناء بعدة أدلة منها قوله تعالى ﴿ وَأَسْتَفْزِزُ مَنِ اسْتَفْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ (١) وصوته كما قال المفسرون هو الغناء والباطل ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ ﴾ (٢) قال ابن عباس وعكرمة السمود هو الغناء وذلك فى لغة حمير يقال إسمد لنا أى غنى لنا . أيضاً قوله تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ ولهو الحديث أيضاً هو الغناء كما قال ابن مسعود وغيره . قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : الغناء والعزف مزار الشيطان . وقال الإمام مالك : الغناء إنما يفعله الفساق عندنا . وقال الإمام أحمد : الغناء ينبت النفاق فى القلب فلا يعجبني : وقال أصحاب الإمام أبى حنيفة استماع الأغاني فسق . وكان العلماء يردون الجارية المغنية بالعب ووصفوا المغنين بوصف المخانيث وأجاز الإمام أبو يوسف دخول الدار التى ينبعث منها الغناء لإنكار المنكر الذى فيها ودون استئذان . وقد كان العلماء يفسقون المغنى ويردون شهادته وكانوا يطلقون عليهم وصف مخانيث بل وكان القانون المصرى لا يقبل شهادته هو والممثل وذلك حتى سنة ١٩٣٨ ثم ألغيت هذه المادة من القانون . وقد شاع الغناء شيوعاً ينذر بالخطر فعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسح قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا ظهرت المعازف والقيينات » والقيينات (المغنون والمغنيات) وأعظم من ذلك استحلال المعازف (وهى آلات الطرب واللهو) فالموسيقى التى تشبب النفوس وتدعوالمواقعة الفواحش حرام

(١) الإسراء (٦٤) .

(٢) النجم (٦١) .

باتفاق العلماء وجملتها محرمة على قول جمهور العلماء . شبهات : ومن الشبهات الواهية التي استند إليها البعض في ترويح الغناء والموسيقى حدوث طرب للنفس وراحة للقلب ومعلوم أن العبرة بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإلا فالنفوس المريضة قد تستلذ بالزنا والقلوب العمياء قد تطرب لشرب الخمر فهل ينبح الزنا والخمر لأجل ذلك قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) بل لا يصح رد الحكم لعرف أو واقع أو معتاد أو رأى أو هوى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٢) وقال البعض الموسيقى الخفيفة يستخدمها الأطباء في العلاج ولو تدبرنا لوجدنا أن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها وقال النبي ﷺ تداووا عباد الله ولا تداووا بتحرام ولما سئل عن الخمر تصنع للدواء قال إنها داء وليست بدواء . ومسلك الأطباء هذا شبيه بمسلكهم في نصح المرضى النفسانيين بمشاهدة برامج التلفزيون الخليعة ومصاحبة الفتيات بزعم الترويح عن النفس بل البعض لا يبالي إن كان الدواء عبارة عن خمر أم لا وفريق كبير يتعاطى الدخان مما يكون أسوأ سيئة لبقية الناس والحاصل من ذلك أن الشرع حكم على العباد جميعاً فلا عبرة بقول طبيب لم يعرف من الدنيا إلا ما جاء في كتب الطب حتى وإن كانت كتبت بأيدي أناس لا خلاق لهم علينا بأخذ النافع منها وترك كل ما هو ضار وفاسد وضابطنا في ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ومن أوهى الشبه الرائجة والتي يذيعها علماء السوء من هذه الأمة غناء الجاريتين للسيدة عائشة رضي الله عنها ولا ندري وجه الشبه والعلاقة بين غناء جاريتين صغيرتين بحرب بعثت وهي الحرب التي دارت بين الأوس والخزرج وما فيها من شجاعة ومروءة . وكان ذلك في يوم عيد بغناء ينبعث من أشباه الرجال ونساء مهتكتات وبكلام فاسد لا يخفى على أحد وبمصاحبة الموسيقى وبمناسبة وغير مناسبة وفي حفلات مختلطة ماجنة فالغناء الموجود الآن وعلى هذا النحو لا يختلف على حرمة اثنان ولا يصح قياسه على غناء الجاريتين ولا يجوز التهافت على الأقوال الساقطة في هذه المسألة كقول ابن حزم فقد رد عليه غير واحد من

(١) النساء (٦٥) .

(٢) الأحزاب (٣٦) .

العلماء كابن القيم وابن الصلاح وقديماً قالوا وماكل خلاف جاء معتبراً وقالوا لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة . وأحاديث النهى صحيحة والأمة مهددة بالعقوبات إذا ظهرت الملامى وارتكبت المعاصى .

صور مباحة من الغناء

قال السفاريني فى غذاء الألباب ص ١٤٥ « قلت المذهب الإباحة من غير كراهة لما تظاهرت به الأخبار وتظاهرت به الآثار من إنشاد الأشعار والحداء فى الأسفار . وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء قال وفى كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه وممانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة وقال ويلتحق بالحداء غناء الحجاج المشتمل على التشويق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال ومنه غناء المرأة لتسكين الولد فى المهد ا . هـ . وقد ثبت عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يحدى له فى السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك يحدو بالرجال فقال رسول الله ﷺ يا أنجشة كيف سوقك بالقوارير وفى مسند الإمام أحمد حدثنا حماد عن يزيد بن سلمة يعنى ابن الأكوع رضى الله عنه قال كان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو قال يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا	*	ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك ماقتفيننا	*	وثبت الأقدام إن لاقينا
والقين سكينه علينا	*	إنا إذا صبح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا الحادى قالوا ابن الأكوع قال يرحمه الله قال فقال رجل وجبت يا رسول الله لولا امتنعنا به فأصيب الحديث رواه البخارى . قال العلماء والإبل تزيد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمنها ويسراها وتنتحب فى مشيها ا . هـ .

و قال الألباني في آداب الزفاف ص ٩٣ « ويجوز له أن يسمح للنساء في العرس بإعلان النكاح بالضرب على الدف فقط وبالغناء المباح الذي ليس فيه وصف الجمال وذكر الفجور وفي ذلك أحاديث :

الأول : عن الربيع بنت معوذ قالت : جاء النبي ﷺ يدخل حين بنى على فجلس على فراشي مجلسك مني (الخطاب للراوى عنها) فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف (وهو الذي لا جلاجل فيه) ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفيما نبى يعلم مافي غد فقال : دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين « رواه البخارى والبيهقى والمحاملى وغيرهم .

الثاني : عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبى الله ﷺ : « يا عائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو وفي رواية بلفظ : فقال : فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى ؟ قلت : تقول ماذا ؟ قال تقول :

أتيناكم أتيناكم	فحيونا نحيكم
لولا الذهب الأحمر	ماحلت بواديكم
لولا الخنطة السمراء	ماسمنت عذارىكم

رواه الطبراني وسكت عليه في الفتح وفيه ضعف وله طريق يتقوى بها .

الثالث : عنها أيضا : « أن النبى ﷺ سمع ناساً يغنون في عرس وهم يقولون :

وأهدى لها أكبش	يحبجن في المربد
وحبك في النادى	ويعلم مافي غد

وفي رواية

وزوجك في النادى	ويعلم مافي غد
-----------------	---------------

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « لا يعلم مافي غد إلا الله سبحانه » أخرجه الطبراني والبيهقى وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

الرابع : عن عامر بن سعد البجلي قال : دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود وذكر ثالثاً - ذهب على - وجواري يضربن بالدف ويغنين فقلت : تقرون على هذا وأنتم أصحاب محمد ﷺ ؟ قالوا : إنه قد رخص لنا في العرسات والنياحة عند المصيبة - وفي رواية وفي البكاء على الميت في غير نياحة أخرجه الحاكم والبيهقي والسياق والرواية الأخرى له والنسائي والطيالسي .

الخامس : عن أبي بلج يحيى بن سليم قال : « قلت لمحمد بن حاطب : تزوجت امرأتين ما كان في واحدة منهما صوت يعنى دفاً . فقال محمد رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف » حسنه الألباني ١ . هـ . بتصرف . ولا يخفى عليك ما في سماع آيات القرآن من فضل وصلاح بعكس ما تحدته الآيات الملحنة من شر وفساد ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ﴾ (١) .

فتاوى هامة تتعلق بالموسيقى والغناء

سئلت لجنة الفتوى بالسعودية عن حكم الأغاني الدينية والوطنية وأغاني الأطفال وأعياد الميلاد ؟ .

فأجابت : العزف حرام مطلقاً والأغاني الدينية والوطنية وأغاني الأطفال إذا كانت مصحوبة بالعزف فهي محرمة وأما أعياد الميلاد فهي بدعة ويحرم حضورها والمشاركة فيها . ومن الأدلة على تحريم الأغاني والأناشيد المشتعلة على العزف قول النبي ﷺ : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » رواه البخاري في صحيحه مع أحاديث أخرى وردت في هذا الباب ١ . هـ .

وسئل الشيخ ابن باز حفظه الله عن حكم الطبول مع الأناشيد ؟ .

فأجاب : لا نعلم شيئاً يبيح استعمال الطبول بل ظاهر الأحاديث الصحيحة يدل على تحريم استعمالها كسائر آلات الملاحى من العود والكمان وغيرهما ومن ذلك ما ثبت

(١) الأحزاب (٢٤)

عنه ﷺ أنه قال : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف »
ولفظ المعازف يشمل الأغاني وجميع آلات اللهو . ١ . هـ .

وسئلت اللجنة عن حكم الاستماع إلى الأغاني ؟ .

فأجابت : الاستماع إلى الأغاني المشتملة على شيء من أنواع الطرب محرم على كل من أصغى إليها رجلاً كان أم امرأة في بيته أو في غير بيته كالسيارات والمجالس العامة والخاصة لما له في ذلك من الاختيار والميل إلى المشاركة فيما حرّمته الشريعة . قال الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (١) وما ذكر السائل من الغناء هو من لهو الحديث فإنه فتنة للقلب يستهويه إلى الشر ويصرفه عن الخير ويضيع على الإنسان وقته دون جدوى فيدخل في عموم لهو الحديث ويدخل من غنى ومن استمع إلى تلك الأغاني في عموم من اشترى لهو الحديث ليصرف نفسه أو غيره عن سبيل الله وقد ذم الله ذلك وتوعد من فعله بالعذاب المهيّن وكما دل القرآن بعمومه على تحريم الغناء والاستماع إليه دلت السنة عليه من ذلك قوله ﷺ : « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة يأتيهم - يعنى الفقير - لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً فيبهتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة - رواه البخارى وغيره من أئمة الحديث . والمعازف اللهو وآلاته ومن ذلك الغناء والاستماع إليه فذم رسول الله ﷺ من يستحلون الزنا وليس الرجال للحرير وشرب الخمر وآلات اللهو والاستماع لها وقرن المعازف بما قبلها من الكبائر وتوعد في نهاية الحديث من فعل ذلك بالعذاب فدل على تحريم العزف وآلات اللهو والاستماع إليها أما السماع دون قصد ولا إصغاء كسماع من يمشى في الطريق غناء آلات اللهو في الدكاكين أو ما يمر به من السيارات ومن يأتيه وهو في بيته صوت الغناء من بيوت جيرانه دون أن يستهويه ذلك فهذا مغلوب على أمره لا إثم عليه وعليه أن ينصح وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ويسعى في التخلص مما يمكنه التخلص منه وسعة . وفي

(١) لقمان (٢٦) .

حدود طاقته فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها أ. هـ .

وسئل الشيخ ابن باز حفظه الله عن حكم استماع بعض البرامج المفيدة كأقوال الصحف ونحوها التي تتخللها الموسيقى ؟ .

فأجاب : لا حرج في استماعها والاستفادة منها مع قفل المذياع عند بدء الموسيقى حتى تنتهى لأن الموسيقى من جملة آلات اللهو يسر الله تركها والعافية من شرها . ا. هـ .

وفى مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية أكثر من فتوى تتعلق بتحريم المعازف ومن الفتاوى الهامة الواردة بالكتاب للشيخ حسن مأمون ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م . والفتوى تتعلق بحكم تلحين القرآن تلحيناً موسيقياً وتصويره تصويراً فنياً ؟ والمبادئ التي قامت عليها الفتوى هي :

(١) المعلوم على القطع والبيّنات أن قراءة القرآن تلقيناً بلا تلحين ولا تطريب ولا ترجيع ولا غناء متواترة عن كافة المشايخ جيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ .

(٢) عدول المسلمين بعد القرن الأول الهجرى عن القراءة على هذا النحو يعتبر بدعة من أخطر البدع .

(٣) رأى العلماء فى قراءة القرآن على صورة التلحين والغناء والتطريب المنع . وهذا يقتضى التحريم أيضاً بالأولى إخضاع القرآن للنغمات الموسيقية وقراءته قراءة مصحوبة بالآلات الموسيقية والتغنى به ووقوع ذلك يعتبر تحريفاً للقرآن .

(٤) كتابة المصحف توقيفية لا يجوز إحداث تغيير فيها .

(٥) رسم الكتابة فى المصحف تلقاه العلماء وحافظوا عليه ولم يرتضوا مخالفته وحرّموا مخالفة خط مصحف عثمان .

(٦) مخالفة خط مصحف عثمان ليوافق قواعد الهجاء حرام فمن باب أولى كتابة المصحف وفيه صور تبين القصص الواردة فيه وتوضيحها .

(٧) تصوير قصص القرآن وإخراجها فنياً حرام باتفاق العلماء .

(٨) لا يجوز بحال طبع المصحف وفيه أى تغير فى رسمه أو إضافة أى صورة إليه .

وقد ختم فضيلته الفتوى والتي ابتدأت ص ٢٤٧ حتى ص ٢٥٦ بقوله : فإن إباحة تصوير المصحف تنجم عنه مفسد يجب منعها فإن تصوير قصة يوسف مثلاً معناه أن يصور بعض الأنبياء صوراً لا تليق بمقام النبوة وهو مقام له قداسته وحرمة والاجترأ على مقام الأنبياء حرام باتفاق العلماء - وكذلك تصوير قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض وكشف سواتهما مما لا يليق ولا يصح . وبعد فأية فائدة يمكن أن يحصل عليها المسلمون من الاجترأ على كلام رب العالمين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيلتق الله كل من يفكر فى إباحة تصوير المصحف فإن المسلمين بخير ما حافظوا على كتاب الله وهم على شرح حال إذا ما تهاونوا فى المحافظة عليه ولذلك كله نرى أنه لا يجوز بحال أن يطبع المصحف وفيه أى تغير فى رسمه أو إضافة أى صورة إليه والله سبحانه وتعالى أعلم . ١ . هـ .

حكم الرقص

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ (١) قال ابن عباس : كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفقون ويصفرون فكان ذلك عبادة فى ظنهم والمكاء الصغير والتصدية التصفيق قال مجاهد والسدى وابن عمر رضى الله عنهم وقال قتادة المكاء ضرب بالأيدى والتصدية صياح . قال القرطبي : وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت ١ . هـ .

وفى تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾ (٢) قال القرطبي : استدلل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه قال الإمام أبو الوفا ابن عقيل : قد نص القرآن على النهى عن الرقص فقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ وذم المختال والرقص أشد

(٢) الإسراء (٣٧)

(١) الأنفال : (٣٥)

المرح والبطر أولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لا تفاقهما فى الاطراب والسكر فما بالناس لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فما أقبح من ذى الحية وكيف إذا كان شبيهة يرقص ويصفق على إيقاع الألحان والقضبان وخصوصاً إن كانت أصوات لنسوان ومردان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو إلى إحدى الدارين يشمس (أى يشرد ويجمع) بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوان ولقد رأيت مشايخ فى عمرى ما بان لهم سن من التيسم فضلاً عن الضحك مع إدمان مخالطتى لهم وقال أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله : ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الإمام الغزالى رضى الله عنه أنه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لاتزول إلا بالعباد . هـ .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ إِلَّا هَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾ (١) قال ابن عطية : تعلق الصوفية فى القيام والقول بقوله : ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ قال القرطبى قلت : وهذا تعلق غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء . أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة فى هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان هيهات بينهما والله ما بين الأرض والسماء ثم هذا حرام عند جماعة العلماء ونقل ماقاله الإمام أبو بكر الطرسوسى وسئل عن مذهب الصوفية فقال : وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حوالبه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل . ا . هـ .

وبينما الحسن جالس إذ مر عليه ابن الأهميم يريد المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفة مصعر خده ينظر فى عطفه أى حميق ينظر

(١) الكهف (١٤) .

فى عطفه فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها. ولا المؤدى حق الله منها والله أن يمشى أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون فى كل عضو منه نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (١) ورأى ابن عمر رجلاً يخطر فى مشيته فقال إن للشياطين إخواناً . وخلاصة القول عدم جواز الرقص للرجال فهو منهم خنثة وميوعة تتنافى مع الرجولة الحققة وهو من التشاء دعوة صريحة لمواقعة الفواحش وهو أفصح من تبرج الجاهلية الذى عابه رب العزة جل وعلا فقال : ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (٢) قيل كانت المرأة تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال أو أنها كانت تظهر خصلة من خصلات شعرها : وقال تعالى ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (٣) والرقص أشد من ذلك بكثير ففيه تتكشف المرأة وتبرز مفاتنها وتأتى من الحركات ما تستشير به قلوب الرجال قال تعالى : ﴿ وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ (٤) فمجرد إمالة صوتها ولينه قد يدعو للطمع فيها ممن فى قلبه مرض شهوة فكيف بالرقص والأوامر الشرعية فى حق النساء تحض على الصيانة والتعجب والتستر والبعد عن مواطن الرجال وأماكن الريب والشر والفساد ولذلك فهى إذا طافت بالكعبة لا ترمى كما يصنع الرجل إذا طاف بالكعبة ولا تهول إذا سعت بين الصفا والمروة بين الميلىن الأخضرين وكل ذلك لئلا تتكشف فهل يجوز لها بعد ذلك أن ترقص سواء أطلق عليه اسم الرقص الشعبى أو الباليه أو غير ذلك فكل هذا حرام حتى وإن أطلق فريق من الناس على بعض صوره اسم الفن الراقى وقد أجاز الشيخ ابن باز رقص المرأة لزوجها وذلك لأن تكشف المرأة لزوجها واستشارتها له أمر لا بأس به .

(٣) النور (٣١)

(٢) الأحزاب (٣٣)

(١) الإسراء (٣٧)

(٤) الأحزاب (٣٢)

حكم التمثيل

يقول العلماء الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، والعارف بالتمثيل وما يدور فيه ولا ينفك عنه لا بد وأن يقطع بحرمة وقد مر بنا أن القانون المصرى حتى عام ١٩٣٨ كان يفسق المغنى والممثل ويرد شهادة كليهما . والعبرة عندنا بما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ والناظر إلى التمثيل سيجده من جملة البدع المحدثه ومعلوم أن كل محدثه بدعه وكل بدعه ضلالة وكل ضلالة فى النار وقد استخدمه الملاحدة وأعداء الإسلام لإشغال وإلهاء هذه الأمة عن دينها وعن مهمتها وفيه نوع من التشبه بالكفار فى صنيعهم وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : « لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم » وقال أيضاً : « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة » رواه أحمد والطبرانى وفى الحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أحمد وأبو داود وهو نوع من قلة والإخلال بالمرؤعة دلالة على السفه وقلة العقل . فتارة يجعل الممثل نفسه حماراً يمشى على أربع وينهق نهيق الحمير وتارة يجعل نفسه كلباً يعوى وأخرى مجنوناً أو امرأة أو سكراناً ومن عجيب الأمور البعض يطلق على أمثال هؤلاء اسم الأستاذ الكبير والمربى القدير ومعلوم أن الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعاً وإذا رفع أحدهما رفع الآخر ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع مائتة وفى التمثيل إضاعة للأموال والأوقات فى غير مصلحة أو منفعة شرعية وعادة لا يتم إلا بالليل وذلك بعد العشاء وفى الصحيح من حديث أبى برزة أنه ﷺ « كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها » فليس هو من السمر المأذون فيه . ومن مستلزمات التمثيل وصل الشعر فى الرأس تارة وفى الوجه أخرى وفى الحديث « لعن الله الواصلة والمستوصلة » متفق عليه فإذا كانت المرأة التى تستعمل الباروكة لزوجها للترزين له ملعونة فكيف بالرجل الذى يستعمله لمجرد اللهو واللعب . ولا ينفك أيضاً عن تنف شعر الوجه وتحسينه وتلميعه فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت له

امراً في ذلك قال : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله قال الله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (١). متفق عليه . والوشم عبارة عن دق الصور على الوجه ونحوه والنمص عبارة عن إزالة شعر الحواجب أو الأخذ منها والمتفلجات أى اللاتى يصنعن فلجة بين الأسنان إظهاراً للحسن وللصغر . وهذه صور من صور التغيير لخلق الله . قال تعالى حكاية عن إبليس أنه قال ﴿ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنِ خَلْقَ اللَّهِ ﴾ (٢) والتمثيل عبارة عن غيبة محرمة فقد روى أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت وحكى له - تعنى النبي ﷺ - إنساناً فقال « ما أحب أن حكيت لى إنساناً وأن لى كذا وكذا » فنهاها النبي ﷺ عن حكاية إنسان وذكر لها أنه لا يحب ذلك منها وأن له كذا وكذا إشارة إلى عظم الأمر وشدة حرمة . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ : « حسبك (أى كافيك) من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى أنها قصيرة فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » صححه الألبانى وروى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل : أفرأيت إن كان في أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته . وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » وفى رواية أخرى قال النبي ﷺ « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره » ومن هنا نعلم حد الغيبة المحرمة وهى ذكرك أخاك بما فيه من خلقه وبما يكره .. وما التمثيل إلا حكاية أقوال وأفعال الآخرين يقلدون المشى والأكل وأسلوب التكلم تفكها وسخرية واستهزاء وأدهى من ذلك وأمرها هو شائع هذه الأيام مما يسمى بـ (الأفلام الكوميديية) فإن الممثل فيها يوظف كلماته وأفعاله لتقليد الآخرين مما يدخل السرور بالباطل فى نفوس الناس غير مبالين بالعاقبة الوخيمة التى تجرها هذه المعاصى منها : تربية الأبناء تربية غير لائقة وتخريج الأجيال المستهترّة المستهزئة التى لا تحمل هموم الأمة ولا تسأل عن شئونها وهذه الأفلام - وللأسف - منتشرة انتشاراً واسعاً سواء كان ذلك مما يسمى بـ (دور السينما) والتلفزيون أو الفيديو أو المسرح . ولا يخفى عليك أن المستمع للغيبة والمغتتاب سواء فبعد أن رُجم ماعز الأسلمى سمع رسول الله ﷺ

(١) النساء (١٠٩).

(٢) الحشر (٧).

رجلين من الأنصار يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى « رُجم رجم الكلب قال : فسكت رسول الله ﷺ ثم سار ساعة فمر بجيفة حمار شائل برجله فقال : أين فلان وفلان ؟ قالوا : نحن ذا يا رسول الله فقال لهما : كلا من جيفة هذا الحمار ؟ فقالا : يا رسول الله غفر الله لك من يأكل من هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : مانلتما من عرض هذا الرجل أنفأ أشد من أكل هذه الجيفة والذى نفسي بيده إنه الآن فى أنهار الجنة ينغمس فيها . فالتائل شخص واحد والثاني استمع له . ثم ماذا كانت النتيجة قال رسول الله ﷺ : كلا من جيفة هذا الحمار ثم قال لهما « مانلتما من عرض هذا الرجل أنفأ أشد من أكل هذه الجيفة وقال سبحانه فى حق عباده المؤمنين ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١) ولما قال رجل من بنى سلمة عن كعب بن مالك وكان قد تخلف عن الخروج فى غزوة تبوك - حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : بئس ماقلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ . فالتمثيل عبارة عن احتقار وسخرية واستهزاء بالمسلمين ولذلك تراهم لا يمثلون من يجلونه أو يخافون سطوته من الملوك الأحياء لأن القانون يمنعهم من ذلك وإنما يمثلون من الأحياء من يريدون إهانتهم أو الملوك الأقدمين الذين لا يمنعهم القانون من تمثيلهم كملوك بنى أمية وبنى العباس وكل هذا حرام قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ ﴾ (٢) وقال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » رواه مسلم . والكبر هو بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم أى احتقارهم وهو أيضا من إذاية المسلمين وتبعية عوراتهم ونشرها بين الجمهور قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بِهْتَانًا وَإِثْمًا مَبِينًا ﴾ (٣) ولا يشفع للممثل أن يعتذر بأنه ذكر الحقيقة وما هو موجود فإنه لما قيل للنبي ﷺ : أفرايت إن كان فى أخي ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » رواه مسلم وفى الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

(١) الحجرات (١١)

(٢) القصص (٥٥)

(٣) الأحزاب : (٥٨)

متفق عليه وقالت عائشة رضی الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا » وهو مخرج فى الصحيح . هذا فى مجرد الأموات فكيف بأموات السلف الصالح لاسيما العلماء والصالحون منهم الذين أمرنا بتعظيمهم واحترامهم والدعاء لهم على أسبقيتهم للإيمان وخدمتهم للدين .

التمثيل الدينى

وقبل أن نذكر حكمه طبقاً للأمر الذى لا ينفك عنها نشير إلى خطورة إضافة الدين لمعان ساقطة حرص أعداء الإسلام على الترويج لها كالاشرائية والديمقراطية والفن فسمعنا من يقول بالاشترائية الإسلامية والفن الإسلامى والتمثيل الدينى وقد أمرنا ربنا جل وعلا أن نسمى الأشياء بأسمائها فالاشترائية نظام كفرى وضعه الملاحدة وإضافته لدين الله نوع من التليس والتزوير والترويج للباطل بشعارات الحق وفيه تمويه على العامة وكذلك الأمر بالنسبة للتمثيل فله حكمه فى شرع الله تعالى وإضافة الدين له يضىء عليه نوعاً من الهيبة والاحترام والترويج وكل هذا أيضاً ما هو إلا تزوير وتدليس فتراه يمثلون علماء الإسلام ويلصقون بوجوههم اللحن المصطنعة فى حالة تدل على الاحتقار والإهانة مما يترتب عليه إهانة العلم والدين وقد حكم الإمام أحمد بكفر من قال لعامة العالم عميمة بقصد الإهانة والاستخفاف وما ينجر بسبب ذلك من استخفاف بالعلم الشرعى الذى يحمله وقد قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » وقد ورد من طرق متعددة ويقول الشافعى رحمه الله : إذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله وليّ وفى الحديث القدسى « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » رواه البخارى . بل قد جرهم التمثيل والجرأة على الله تعالى إلى تمثيل أنبياء الله تعالى ورسله كموسى وعيسى ويوسف عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بل لم تقف بهم الجرأة عند حد عندما مثلوا الله جل وعلا وتقدس وتنزه عن المثل **﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾** ^(١) وكذلك يدعوهم التمثيل إلى الكفر بالله جهاراً فترى الممثل يتقمص شخصية يهودى أو نصرانى أو مجوسى أو ملك كافر أو فرعون من

(١) الشورى (١١)

الفراغة أو شيطان من الشياطين فينطق بكلمات الكفر ومعلوم أن الرضى بالكفر كفر والقرآن عندما حكى لنا أقوال الكفرة كان على سبيل دحضها والرد عليها وروى ابن ماجه من حديث أنس قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول « أنا يهودى » فقال رسول الله ﷺ « وجبت » والتمثيل مع كل هذا كذب وزور وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » وروى أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا فقالت ها تعالى أعطيك فقال لها رسول الله ﷺ : أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة » وفى الحديث « أنا زعيم بيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه . وبين النبى ﷺ أن من علامات الساعة كثرة الكذب . ثم هم يحلفون بالله على ذلك الكذب فى الدور الواحد مراراً وهذا ما يطلق عليه اسم اليمين الغموس أى الذى يغمس صاحبه فى الإثم وهو من جملة الكبائر . وكذلك فالتمثيل يكثر فيه الكلام فيما لا يعنى وفى الحديث « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » رواه الترمذى وحسنه وإذا لم تحضر فيه النساء تشبه بهن بعض الممثلين فى اللباس والكلام والحركات والتخنث حتى كأنه امرأة وفى حديث ابن عباس قال : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخارى وفى حديث أبى هريرة قال : « لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم . ووجود النساء الممثلات مع الرجال فيه من الشر والفساد مالا يخفى على أحد بل هو كذلك يوقع الممثلين والمتفرجين فى كبيرة النظر وقد قال جابر بن عبد الله : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال : « اصرف بصرك » رواه مسلم وقال لعلى : « لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية » رواه أبو داود والترمذى . وقد تنضاف الموسيقى والغناء فيزاد الطين بلة والمتفرج شريك الممثل فى الإثم والذنب لإقراره بالغية ولإنفاق المال فى الباطل والحرام ولهذا الاختلاط المريب الذى يحدث بين النساء والرجال ولإطلاق البصر فيما يغضب الله تعالى . وهكذا أصبح التمثيل أداة لنشر الفسق والفجور وإشاعة للفحش

والتفحش وتربية للأجيال على معانى الأسوة السيئة المتمثلة فى الممثلين والممثلات الذين يقودون الأمة إلى حتفها وهلاكها ويحلوا للبعض أن يبرر هذا الضياع بتبريرات سمجة مثل قولهم : التمثيل وسيلة من وسائل الدعوة ولا يخفى عليك أنها وسيلة محرمة لما مر بك من أدلة وبراهين ثم وكأن هؤلاء عدموا الوسائل المشروعة للدعوة من كتابة وخطابة ودروس وإعطاء للقدوة الحسنة والمثل الطيب بالفعل قبل القول والوصول بالدعوة إلى الأفراد والجماعات فى كل حقل ومجال وبذل الوسع فى ذلك كما كان الحال على عهد خير القرون بل استدلل البعض ظلماً وزوراً على الترويج لهذا المنكر بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وماشابه ذلك من قصص لاعلاقة لها من قريب أو بعيد بما يحدث فى التمثيل الدينى أو غيره ومعلوم أن قصص القرآن كله حق وصدق لا كذب فيه ولا فحش ولا تزوير معه . وقد راج هذا التمثيل على قطاعات كبيرة من الناس لما يرونه من نهاية مؤلة للباطل فى زعمهم ويكونون قبل رؤية هذه النهاية قد شاهدوا صور العرى والخلاعة وكلمات الكفر والضلال دون نكير وهم فى أحسن أحوالهم يتشربون السم فى العسل كحالة من يذهب للعرافين والكهان لأنهم صدقوا يوم كذا ويتناسى أنهم كذبوا مائة مرة معها وإذا كان درأ المفاصد مقدم على جلب المصالح فالواجب علينا الانتهاء عن التمثيل الدينى وغيره والانتهاء كذلك عن مشاهدة هذا الفساد والترويج له .

قرار مجلس المجمع الفقهي الإسلامي المنعقد بمكة المكرمة بشأن تصوير (تمثيل) النبي ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

القرار السادس ص ١٦٧ (إن مقام النبي ﷺ مقام عظيم عند الله تعالى وعند المسلمين وإن مكانته السامية ومنزلته الرفيعة معلومة من الدين بالضرورة فقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وأرسله إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وقد رفع ذكره وأعلى قدره وصلى عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فهو سيد ولد آدم وصاحب المقام المحمود ﷺ . وإن الواجب على المسلمين احترامه وتقديره وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزلته عليه الصلاة والسلام فإن أى امتهان له أو تنقص من قدره يعتبر كفراً وردة عن الإسلام والعياذ بالله تعالى وإن تخيل شخصه

الشريف بالصور سواء كانت مرسومة متحركة أو ثابتة وسواء كانت ذات جرم وظل
أوليس لها ظل وجرم كل ذلك حرام لا يحل ولا يجوز شرعاً فلا يجوز عمله وإقراره
لأى غرض من الأغراض أو مقصد من المقاصد أو غاية من الغايات وإن قصد به الامتثال
كان كفراً . لأن في ذلك من المفساد الكبيرة والمحاذير الخطيرة شيئاً كثيراً وكبيراً وأنه
يجب على ولاية الأمور والمسئولين ووزارات الإعلام وأصحاب وسائل النشر منع تصوير
النبي ﷺ صوراً مجسمة وغير مجسمة في القصص والروايات والمسرحيات وكتب
الأطفال والأفلام والتلفاز والسينما وغير ذلك من وسائل النشر ويجب إنكاره واتلاف
ما يوجد من ذلك . وكذلك يمنع ذلك في حق الصحابة رضی الله عنهم فإن لهم من
شرف الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ والدفاع عن الدين والنصح لله ورسوله ودينه
وحمل هذا الدين والعلم إلينا ما يوجب تعظيم قدرهم واحترامهم وإجلالهم ومثل النبي
ﷺ سائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيحرم في حقهم ما يحرم في حق النبي
ﷺ . لذا فإن المجلس يقرر بأن تصوير أى واحد من هؤلاء حرام ولا يجوز شرعاً ويجب
منعه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ١ . هـ .

..... وبعد

فقد تعرضنا لبعض صور الفنون وذكرنا حكم كل صورة من هذه الصور ولسنا من
هواة تحريم الحلال على الناس ونعوذ بالله أن نكون ممن يحل الحرام للخلق . وفي الحلال
مندوحة وسعة عن الحرام ، والإسلام هو دين المثالية والواقعية في وقت واحد وبلا تعارض
أو تناقض فمن رحمة الله بعباده أنه لم يتعامل مع خلقه على أنهم ملائكة أولى أجنحة
مثنى وثلاث ورباع بل هم بشر يصيبون ويخطئون ، يأكلون ويشربون ، يصلون
ويصومون وفي ذات الوقت يفرحون ويمرحون وينزلون في ذلك كله على كتاب الله
وسنة رسول الله ﷺ . فقد روى الإمام مسلم عن حنظلة الأسدي رضي الله عنه قال
« لقيني أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : ناقد حنظلة !! قال سبحان الله ما
تقول ؟ قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنه رأى عين فإذا
خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (أى لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيقات فنسينا

كثيراً قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا . قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت نافع حنظلة يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ وماذا ؟ قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأننا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً . قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده : إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة - وكرر هذه الكلمة ساعة وساعة ثلاث مرات » وكان ﷺ يقول « اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن » رواه أبو داود . وكان ﷺ ألين الناس ضحاكاً بساماً يمزح ولا يقول إلا حقاً ومما روى فى مزاحه أن امرأة عجوزاً جاءتته تقول له : يارسول الله . ادع الله لى أن يدخلنى الجنة : فقال لها : « يأم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز » فبكت المرأة فبين النبی ﷺ لها أن العجوز لن تدخل الجنة عجوزاً بل ينشئها الله خلقاً آخر فتدخلها شابة بكراً وتلا عليها قوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً ﴾ وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان لها طرائف الحكمة . وقال : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمى . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : إني لأستجم نفسى بالشئ من الباطل ليكون أعون لها على الحق . والمقصود بذلك شئ من اللهو المباح الحلال يكون بمثابة الملح للطعام وهو أليق بالنساء والصغار وحديثي العهد بمعرفة الإسلام وقد ذكرنا صوراً من الرياضات النافعة التى يحرص عليها المسلم لتحصيل أسباب القوة . ولكل مقام مقال والواجبات كثيرة فاحرص على الجمع بين المصالح .

حكم الأماكن المشهورة

لم تقتصر الشهرة على الأشخاص والعلوم والفنون بل تعدت ذلك كله إلى البقاع والجيال والآثار والقبور والمشاهد ونحو ذلك مما يحرص الناس على ارتياده وزيارته وشد الرحال إليه . بل وكثير من الأماكن المشهورة له قدسية خاصة عند كثير من الشعوب وكل ذلك له حكمه فى دين الله ونحن نذكر بإذن الله تعالى بعض المسائل والصور التى تتعلق بهذه القضية الهامة .

(١) إدراك السنن الربانية

فلله تعالى سنن في خلقه أرشدنا إليها وطلب منا التعامل معها قال تعالى ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (٢) وقال جل وعلا : ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَا لَكَ الْكَافِرُونَ﴾ (٣) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ . حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يَرِدُ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤) .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٥) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ (٦) والآيات في هذا المعنى كثيرة وكلها تؤيد أن الحوادث متشابهة والمواقف متماثلة والتاريخ هو الذى يكشف عن هذه السنن التى هى غاية فى الدقة والعدل والثبات وهذه الفائدة من أهم ثمرات دراسة التاريخ . والسير فى الأرض لأخذ العظة والعبرة أمر شرعى دل عليه هذه النصوص التى ذكرنا وغيرها . وفى تفسير قوله تعالى ﴿ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ ذكر القرطبي نقلاً عن ابن العربي أن العلماء قسموا الهجرة إلى قسمين هجرة هروب وهجرة طلب وأن هجرة الهروب ستة أقسام :

(١) الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضاً أيام النبى ﷺ وهى باقية

(٢) فاطر (٤٣) .

(١) آل عمران (١٣٧) .

(٤) يوسف (١٠٩، ١١٠، ١١١) .

(٣) غافر : (٨٥) .

(٦) محمد (١٠) .

(٥) النمل (٦٩) .

مفروضة إلى يوم القيامة والتي انقطعت بالفتح هي القصد إلى النبي ﷺ حيث كان فإن بقي في دار الحرب عصي ويختلف في حالة .

(٢) الخروج من أرض البدعة . قال ابن القاسم سمعت مالكا يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف . قال ابن العربي : وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ (١) .

(٣) الخروج من أرض غلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم .

(٤) الفرار من الإصابة في البدن وذلك فضل من الله أرخص فيه فإذا خشى على نفسه فقد أذن الله في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور وأول من فعله إبراهيم فإنه لما خاف من قومه قال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهْدِينِ ﴾ (٢) وقال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ (٣) وقال الله تعالى مخبراً عن موسى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ (٤) .

(٥) الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة إلى الأرض النزهة وقد أذن النبي ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه ﷺ غير أن العلماء قالوا : إنه مكروه (أى الخروج من الأرض التي نزل بها الطاعون) .

(٦) الفرار خوف الأذية في المال فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه والأهل مثله وأؤكد .

ثم تحدث عن هجرة الطلب وقسمها قسمين : طلب دين وطلب دنيا والأول يتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام :

(١) سفر العبرة . قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (٥) وهو كثير .

(١) الأنعام (٦٨) .

(٢) الصافات (٩٩) .

(٣) العنكبوت (٢٦) .

(٤) القصص (٢١) .

(٥) فاطر (٤٤) .

(٢) سفر الحج وهو فرض أما سفر العبرة فهو ندب.

(٣) سفر الجهاد وله أحكامه .

(٤) سفر المعاش فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج في طلبه لايزيد

عليه بصيد أو احتطاب أو غيرهما فهو فرض عليه .

(٥) سفر التجارة والكسب الزائد على القوت والحاجة وذلك جائز بفضل الله كما

قال سبحانه : ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ (٦) وهى نعمة من الله بها

فى سفر الحج فكيف إذا انفردت .

(٦) سفر فى طلب العلم وهو مشهور .

(٧) سفر لقصد الثغور والمراطة فيها من أجل الجهاد .

(٩) سفر لزيارة الإخوان فى الله كما فى الحديث الذى يدل على « أن ملكاً أُرصدته

الله فى طريق رجل ليزور أخاه فى الله وبشره بالجنة » رواه مسلم ا . هـ مختصراً .

دخول ديار الهلكى المعذبين (زيارة الآثار)

أصبحت الآثار من جملة المزارات التى يحرص الناس على ارتيادها مثل ديار عاد
و ثمود والأهرامات وغيرها من آثار الفراعنة وقد اشتدت حركة البحث والتنقيب عن
الآثار هنا وهناك لأغراض كثيرة بل وقد أنشأت أقسام للآثار فى الجامعات ثم هم يقسمون
الآثار بعد ذلك بحسب العصر الذى وجدت فيه فيقولون هذه آثار فرعونية أو قبطية أو
إسلامية والذى يعنينا هنا هو التنبيه على الآداب التى ينبغى أن تراعى ومن أهمها : أن
يكون المقصد هو العظة والاعتبار من هذا الكشف أو من هذه الزيارة لا الانشغال
بتفاهات وتفصيلات مثل أشكال الأوانى ونحو ذلك مما ينسينا الهدف والغاية التى كان
الواجب أن نركز عليها اللهم إلا أن يكون البحث فى التفصيلات له مقصد شرعى .
وهذا المعنى نستفيدة من قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ
سَادُسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا
يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارَ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (١)

(١) الكهف (٢٢) .

(٦) البقرة (١٩٨) .

وهكذا فأتت ترى أن الخلاف حول عدد أصحاب الكهف يستخلص منه أن الناس دائماً يتعلقون بالأمور الجانبية التي لا فائدة ترجى من وراء معرفتها ويختلفون في ذلك ثم يخوضون بالجدل فيه بغير علم ويتركون المقاصد والأمور المهمة وهو أخذ العبرة من وراء سياق القصة وإنه ليستوى في أخذ العبرة أن يكون عددهم ثلاثة أو خمسة أو أقل أو أكثر فالعبرة في أمرهم حاصلة بالعدد القليل والكثير ولكن إذا وجد علم صحيح بعددهم فإنه لا مانع من الأخذ به وإثباته كحادثة تاريخية . أيضاً لا يصح أن نصف ما كان عليه الفراعنة أو قوم هود أو قوم صالح بوصف الحضارة حتى وإن أقاموا الأهرامات وأبا الهول والمسلات وأنشأوا المصانع والسدود ونحو ذلك . فالحضارة عند المسلمين معناها التطور أو التقدم أو الأخذ بأسباب القوة وفق منهج العبودية وإقامة الحياة على أساس دين الله جل وعلا ، أما هؤلاء الذين ذكرناهم فقد غلب عليهم الكفر ولذلك أخذهم ربنا أخذ عزيز مقتدر . ونحن لا نفرح ولا نفخر بالانتساب لفرعون الذى قال لقومه : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (١) وقال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ (٢) وقال : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾ (٣) وقال أيضاً : ﴿ مَا أَرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٤) فإذا اكتشفنا جثمانه فلا ينبغي أن نغفل قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾ (٥) وقد أمرنا إذا مررنا بقبور المشركين أن نبشرهم بالعذاب وأن نسرع الانصراف والرحيل من ديار الهلكى المعذيين بل ومن الأماكن التى نزل العذاب بساحتهم فيها مثل وادى محسر الذى أهلك ربنا جل وعلا فيه أصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة المشرفة . وجاء فى كتب الحديث والمغازى أن الرسول ﷺ وهو بالحجر قال : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذيين - يعنى قوم صالح - إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم » وفى رواية أنه ﷺ قال « وهو بالحجر » « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم » إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه (أى غطاه كى لا يرى) وأسرع السير حتى أجاز الوادى « رواه البخارى . وفى مغازى الواقدي : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذيين إلا أن

(٣) الزخرف (٥١) .

(٢) النازعات (٢٤) .

(١) القصص (٣٨) .

(٥) يونس (٩٢) .

(٤) غافر (٢٩) .

تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم فيصيبكم ما أصابهم . وقال أبو سعيد الخدرى رأيت رجلاً جاء إلى النبي ﷺ بخاتم وجهه فى الحجر فى بيوت المعذنين قال فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظر إليه وقال : الله فآلقاه فما أدرى أين وقع حتى الساعة وكان ابن عمر يقول : إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه حين حاذاهم « أى المعذنين » : « إن هذا وادى النفر » فجعلوا يوضعون فيه ركابهم (أى يحثونها لتسرع فى المشى حتى خرجوا منه) وكان أبو هريرة يحدث يقول : لما مررنا بالحجر (اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام) استقى الناس من بئرها وعجنوا فنادى منادى النبي ﷺ : لا تشربوا من مائها ولا تتوضأوا للصلاة وما كان من عجين فأعلفوه الإبل قال سهل بن سعد : كنت أصغر أصحابى وكنت مقرئهم فى تبوك فلما نزلنا (أى الحجر من ديار ثمود) عجنت لهم ثم تحينت العجين وقد ذهبت أطلب حطباً فإذا منادى النبي ﷺ ينادى : إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تشربوا من ماء بئرهم فجعل الناس يهرقون ما فى أسقيتهم قالوا : يا رسول الله قد عجنا قال : « أعلفوه الإبل » . قال سهل : فأخذت ما عجنت فعلقت نضوين فهما كانا أضعف ركابنا .

راجع (سيرة ابن هشام - السيرة الحلبية - البداية والنهاية - مغازى الواقدي) .

لعنة الفراعنة

لقد تغير الحال وتبدل ودخل البعض ديار هؤلاء الهلكى المعذنين على وجه الضحك واللعب وكل همه أن تلتقط له صورة وقد رأينا كيف أن الصحابة يوم رجوعهم من تبوك عندما مروا بديار ثمود قال لهم النبي ﷺ : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذنين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم (أى من الهلاك) فالدخول على هؤلاء على غير الوجه المشروع سبب من أسباب الهلاك . وقد حاول البعض التصوير بأن لعنة الفراعنة هذه كانت منهم على وجه التهديد والإنذار فقد نقل أحد علماء الآثار المصرية قول امنحتب بن حابو الوزير الذى عاش فى عصر امنوفيس الثالث ١٣٥٠ ق.م حين هدد بالآتى : « أجسادهم سوف تلعن وسوف ينتقم منهم الإله آمون . الذى سوف يقذف بهم إلى جهنم وبئس المصير وسوف تقذف الأفاعى النار فى

وجوههم وتلتهم الثعابين أجسادهم . وسوف يغرقون في قاع البحر حيث تتوارى جثثهم وسوف لا تقام لهم الطقوس الدينية عند موتهم وسوف يوارون التراب دون احتفال وسوف يتضوون جوعاً وعطشاً في الآخرة فلاخبر ولا ماء لهم » نقلاً عن مجلة أكتوبر العدد (٥٩٣) وقد حكى الدكتور صاحب المقال كيفية موت اللورد كارنارفون (أحد ممولى عمليات الآثار) صريعاً وهو فى حالة يرثى لها من الذعر والخوف وكذلك موت كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون ثم عقب بقوله : وهذا يشبه إلى حد ما النبوة التى أشار إليها الإسكندر الأكبر عندما زار واحة سيوة وأخبره بها آمون ومات دون أن يعلم أحد بحقيقتها فقد أرسل الإسكندر الأكبر إلى أمه خطاباً صغيراً قال لها فيه إنه سوف يبلغها بما جرى بينه وبين الإله آمون من حديث عند عودته إليها ولكنه مات معه السر الذى لم يبح به الى أى إنسان أ.هـ ولنا على كلام الدكتور عدة تعليقات .

أولاً : لكى نحكم على لعنة الفراعنة وغيرها وهل هى خرافة أو حقيقة أو أسطورة فلا بد من الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وحينئذ يزول الإشكال وتنتهى الحيرة بإذن الله وقد أوردنا قول الصادق المصدوق فيما يتعلق بالدخول على ديار ثمود وهو يشمل كل من أهلكتهم ربنا بالعذاب لكفرهم .

ثانياً : أورد الدكتور كلمات كثيرة وكأنها من المسلمات مثل نبوءة الإسكندر والإله آمون والسحر وإخناتون صاحب مذهب التوحيد . ومعلوم أن الإسكندر الأكبر كان مشركاً ممن يعبد الكواكب ، والغيب لا يعلمه إلا الله . ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (١) الآية فليس ذلك للإسكندر ولا لغيره . والسحر كفر والساحر كافر ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢) ونسبة الألوهية لآمون كفر برب العزة جل وعلا فإذا نقل الإنسان مثل هذا الكلام فليكن على سبيل إبطاله ودحضه لا كما صنع الدكتور عالم الآثار . ثم هو يقول إخناتون صاحب مذهب التوحيد ... أى جهل هذا (!!) ألم يقرأ مرة وهو المسلم فى كتاب الله أوفى سنة رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ . وقال سبحانه : ﴿وَمَا

(٢) البقرة : (١٠٢) .

(١) الجن : (٢٦) .

أَمُرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ مِمَّنْ نَبِيُّ إِلَّا وَقَالَ لِقَوْمِهِ ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٤﴾ وقد ابتدأت البشرية بنبي مكرم هو آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ثالثا : إذا كانت هذه هي حالة الأستاذ فكيف تكون حالة الطلبة فالمشتكى لله وحده من غربة الإسلام وسط بنيه . فعلى مثل هذه المناهج الخبرة وعلى أيدي أمثال هؤلاء يتربى أبناء المسلمين الذين يؤمنون بالله ربا وبالإسلام دنيا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

الزيارة الشرعية والزيارة البدعية

سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن زيارة القدس وقبر الخليل عليه السلام فأجاب : الحمد لله . أما السفر إلى بيت المقدس للصلاة فيه والاعتكاف أو القراءة أو الذكر أو الدعاء : فمشروع مستحب باتفاق علماء المسلمين وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة وأبي سعيد أنه قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا » والمسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ أفضل منه وفي الصحيحين عنه أنه قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وأما السفر : إلى مجرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الأنبياء والصالحين ومشاهدتهم وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم بل لونذر ذلك نادر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الأئمة الأربعة وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة فإنه إذا نذر السفر إلى المسجد الحرام لحج أو عمرة لزمه ذلك باتفاق الأئمة وإذا نذر السفر إلى المسجدين الآخرين لزمه السفر عند أكثرهم كمالك وأحمد والشافعي في أظهر قوليه لقول النبي ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخاري وإنما يجب الوفاء بنذر

(٢) الأعراف : (٥٩) .

(١) البينة : (٥) .

(٤) الأنبياء : (٢٥) .

(٣) النحل : (٣٦) .

كل ما كان طاعة : مثل من نذر صلاة أو صوما أو اعتكافاً أو صدقة لله أو حنجا ولهذا لا يجب بالنذر السفر إلى غير المساجد الثلاثة لأنه ليس بطاعة لقول النبي ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » فمنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة فغير المساجد أولى بالمنع لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد وغير البيوت بلاريب ولأنه قد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « أحب البقاع إلى الله المساجد » مع أن قوله « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله فإنه هو المقصود حيث كان . وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء : أنه لا بأس بالسفر إلى المشاهد واحتجوا « بأن النبي ﷺ كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماثياً » أخرجاه في الصحيحين ولا حجة لهم فيه لأن قباء ليس مشهداً بل مسجد وهي منهى عن السفر إليها باتفاق الأئمة لأن ذلك ليس بسفر مشروع بل لو سافر إلى قباء من ديرة أهله لم يجز ولكن لو سافر إلى المسجد النبوي ثم ذهب منه إلى قباء فهذا يستحب كما يستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد . ١ . هـ والمرابطة بالثغور أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة وهذا متفق عليه بين السلف حتى قال أبو هريرة رضي الله عنه : لأن أربط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود . وقد قال تعالى ﴿ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ الآية حتى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (١) وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في بعض الأسفار : فرأى قوماً يتناوبون مكاناً يصلون فيه فقال : ما هذا ؟ قالوا : مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : ومكان صلى فيه رسول الله ﷺ أتريدون أن تتخذوا أثر الأنبياء لكم مساجد ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا : من أدرسته الصلاة فليصل وإلا فليمض وهذا لأن الله لم يشرع للمسلمين مكاناً يتناوبونه للعبادة إلا المساجد خاصة فما ليس بمسجد لم يشرع قصده للعبادة وإن كان

(١) التوبة : (١٩ ، ٢٢) .

مكان نبي أو قبر نبي . ومن تتبع هدى الصحابة رضوان الله عليهم وجد أنهم لم يكونوا يستحبون السفر لشيء من زيارات البقاع : لا آثار الأنبياء ولا قبورهم ولا مساجدهم إلا المساجد الثلاثة بل إذا فعل بعض الناس شيئاً من ذلك أنكر عليه غيره كما أنكروا على من زار الطور الذي كلم الله عليه موسى حتى إن غار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبد فيه قبل المبعث لم يزره هو بعد المبعث ولا أحد من أصحابه . هذا وينبغي الحذر من التبرك بالأحجار والأشجار فمن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقلتنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن قلتم : والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم »

رواه الترمذى وصححه : وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول عن الحجر الأسود : والله إننى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك . ومكة المكرمة هى أحب بلاد الله إلى الله لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ما خرجت » قال الترمذى حديث صحيح وأما الحديث الذى يروى « أخرجتى من أحب البقاع إلى فأسكنى أحب البقاع إليك » فهذا حديث موضوع كذب لم يروه أحد من أهل العلم . والنبي ﷺ حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . وقد دل القرآن على بركة الشام فى خمس آيات وقال النبي ﷺ الإيمان يمان والحكمة يمانية ، والمكان الذى يكون الإنسان فيه أطوع لله ولرسوله هو الأفضل بالنسبة له فقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسى رضى الله عنهما يقول له : هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدر أحداً وإنما يقدر الرجل عمله وهو كما قال سلمان الفارسى فإن مكة - حرسها الله تعالى - أشرف البقاع وقد كانت فى غربة الإسلام دار كفر وحرب يحرم المقام بها وحرم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها وقد كانت الشام فى زمن موسى عليه السلام - قبل خروجه بنى إسرائيل دار الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين وفيها قال الله تعالى لبنى إسرائيل : ﴿ سَارِكُم

دار الفاسقين ﴿ وليكن معلوماً أن الفضيلة الدائمة في كل وقت ومكان في الإيمان والعمل الصالح يقول ابن تيمية ﴾ وهذه الأوقات يظهر فيها من النقص في خراب : (المساجد الثلاثة) علماً وإيماناً ما يتبين به فضل كثير ممن بأقصى المغرب على أكثرهم فلا ينبغي للرجل أن يلتفت إلى فضل البقعة في فضل أهلها مطلقاً بل يعطى كل ذي حق حقه ولكن العبرة بفضل الإنسان في إيمانه وعمله الصالح والكلم الطيب ثم قد يكون بعض البقاع أعون على بعض الأعمال كإعانة مكة حرسها الله تعالى على الطواف والصلاة المضعفة ونحو ذلك وقد يحصل في الأفضل معارض راجح يجعله مفضولاً : مثل من يجاور بمكة مع السؤال والاستشراف والبطالة عن كثير من الأعمال الصالحة وكذلك من يطلب الإقامة بالشام لأجل حفظ ماله وحرمة نفسه لا لأجل عمل صالح فالأعمال بالنيات وهذا الحديث الشريف إنما قاله النبي ﷺ بسبب الهجرة فقال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه » قال ذلك بسبب أن رجلاً كان قد هاجر يتزوج امرأة يقال لها : أم قيس وكان يقال : مهاجر أم قيس وإذا فضلت جملة على جملة لم يستلزم ذلك تفضيل الأفراد على الأفراد كتفضيل القرن الثاني على الثالث وتفضيل العرب على ماسواهم وتفضيل قريش على ماسواهم فهذا هذا والله أعلم . هـ فالواجب على الإنسان أن يعيش طاعة الوقت فمن داهم العدو بلدهم كأهل أفغانستان تعين عليهم الجهاد ولا يحل لهم ترك بلدهم للاعتكاف بالمسجد الحرام ومن سمع النداء وجب عليه أن يحرس على صلاة الجماعة في المسجد - هذا بالنسبة للرجال - حتى وإن كان يقرأ القرآن وقس على ذلك فلكل مقام مقال .

التحذير من اتخاذ القبور مساجد

وهذا التحذير يشمل حرمة بناء المسجد على قبر وحرمة الصلاة إلى قبر وحرمة الصلاة على قبر وقد ذهب العلماء إلى ذلك استناداً لنصوص كثيرة منها ماورد عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : فلولاً ذاك أبرز قبره غير أنه

خَشِيَ أَنْ يَتَّخِذَ مَسْجِدًا» متفق عليه وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » وعن عائشة وابن عباس أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » تقول عائشة : « يحذر مثل الذى صنعوا » متفق عليه - وعن عائشة رضى الله عنها قالت : لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها : مارية - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة فذكرن من حسننها وتصاويرها قالت : فرفع النبي ﷺ رأسه - فقال : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروها تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » متفق عليه - وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثنا لعن الله قوما اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ » رواه أحمد وغيره بسند صحيح وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » قال ابن تيمية إسناده جيد وصححه الألبانى . وقد عظمت الفتنة والبلية بالمقبورين فى المساجد حيث صرفت لهم العبادة من دون الله فترى من يستغيث بأبى العباس ويذبح للسيد البدوى ويلتمس المدد من الحسين رضى الله عنه ويدعو السيدة زينب وينذر لإبراهيم الدسوقي . فأصبحت المقابر داخل المساجد ذريعة لكل شرك وكفر قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(١) فلا يجتمع فى دين الإسلام مسجد وقبر والمفاسد إنما تحدث عند القبور المزورة لا المدرسة ولو كانت حقيقية وقبر الحسين رضى الله عنه هو من جملة القبور المزورة البارزة ومعلوم بالاتفاق أنه لم يدفن هنا فى مصر وبالرغم من هذا فكل مظاهر الشرك تحدث فى المسجد المنشئ على هذا القبر الوهمى . وقد قال البخارى (باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور) : ولا يخفى على أحد أن الكراهة هنا للتحريم لورود اللعن ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق ولذلك فالمذاهب الأربعة على حرمة اتخاذ المساجد على القبور وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية الاتفاق على التحريم وقال لا يصلى فى مثل هذا المسجد فرضا ولا نفلا .

(١) الجن : (١٨) .

بل مثل هذا المسجد أضر من مسجد الضرار وفي كتاب تحذير الساجد قال الحافظ العراقي : فلو بنى مسجدا يقصد أن يدفن في بعضه دخل في اللعنة بل يحرم الدفن في المسجد وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفة وقفه مسجدا . وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية « هل تصح الصلاة في المسجد إذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتي الجماعة والجمعة أم لا ؟ وهل يمهّد القبر أو يعمل عليه حاجز أو حائط ؟ فأجاب : الحمد لله اتفق الأئمة أنه لا يبنى مسجد على قبر لأن النبي ﷺ قال : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » وأنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا وإن كان المسجد بنى بعد القبر فيما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر فالمسجد الذي على القبر لا يصلى فيه فرض ولا نفل فإنه منهي عنه . ١. هـ وقد كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يأمر بتسوية القبور . وقال على بن أبى طالب لأبى الهياج الأسدى ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع قبرا مشرفا إلا سويته ولا صورة إلا طمسيتها . وقد وصى أبو موسى الأشعري عند موته فقال ولا تجعلوا على قبرى بناء ولما رأى ابن عمر فسطاطاً على قبر عبد الرحمن قال : انزعه يا غلام فإنما يظله عمله وكان سعيد بن المسيب يقول إذا أنا مت فلا تضربوا على قبرى فسطاطا وقد تذرّع القبوريون ببعض الشبهات الضعيفة التى لا تقوم بها حجة فى مواجهة هذه النصوص الصريحة وهذه الأقوال الواضحة فمن جملة شبهاتهم الاستدلال بقوله تعالى ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجدا ﴾ والذين قالوا هذا القول إما أن يكونوا من أهل القهر والغلبة أو هم من المسلمين والصحيح المتقرر من أقوال العلماء أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا وقول المسلم إذا صادم به كتابا أو سنة علم أم جهل لا يعمل به ولا يعول عليه إذ مرد الحكم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وقد حكى القرآن كثيرا من أقوال أهل الكفر مبطلا لها كقول فرعون وقارون وشبيه بهذا قولهم بأن أبا جندل بنى مسجدا على قبر أبى بصير وهذا القول ليس له إسناد تقوم به الحجة ولم يقره النبي ﷺ على ذلك إن

ثبت ولو علم لكان ذلك قبل التحريم وقالوا أيضا قُبر في مسجد الخيف سبعون نبيا والصحيح أنه صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا بل حتى لو صح الأمر فالقبور ليست ظاهرة بل مندرسة وبالتالي فلا محذور وقالوا بأن إسماعيل دفن في الحجر وهذا لم يرد في كتب السنة ثم أين قبره عليه السلام ومعلوم أن الأرض مقبرة الأحياء قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَانًا أَحْيَاءٍ وَأَمْوَاتًا﴾ (١) قال الشعبي: بطنها لأمواتكم وظهورها لأحيائكم. أيضا كثيرا ما يحتجون بأن قبر النبي ﷺ داخل المسجد ومعلوم أن النبي ﷺ مات في حجرة السيدة عائشة رضى الله عنها وكانت الحجرة ملتصقة بالمسجد وسواء أدخلوا الحجرة برمتها داخل المسجد كما نقل الشيخ الألباني واحتاطوا ببناء جدار من وراء جدار أو مازالت الحجرة خارج المسجد بحيث لا يستطيع أحد استقبال القبر فعلى كلا القولين يُصلى في مسجد النبي ﷺ بلا حرج لأنه ليس بكعبة المساجد والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه وهذه خصوصية للمسجد النبوي الشريف والقاعدة تقول (مامنع سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة) وبالتالي فلا يقاس المسجد النبوي على غيره من المساجد كمسجد أبي العباس المرسى أو السيد البدوي فليس لهما مثل هذه الخصوصية فضلا عن أن تكون الحجرة خارج المسجد كما تقول لجنة الفتوى بالسعودية . وأحيانا نجد البعض يقول: لو كان بناء المساجد على القبور حراما فلماذا يجوز ذلك من يتسبب للعلم الشرعي والإجابة على ذلك يسيرة بإذن الله تعالى فلا يلتفت لقول من صادم الكتاب والسنة واتفاق من قبله من علماء الأمة وقد كان الواجب عليه قبل أن يتكلم أو يفتى أن يتعلم مواطن الاتفاق والاختلاف بين علماء الأمة ثم الواجب علينا أن نحذر علماء السوء الذين هم أشد من قطاع الطريق .

فتوى هامة في كتاب مختصر الفتاوى المصرية

الدفن في المسجد غير جائز

والمفتي هو فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم سنة ١٣٥٩ هـ الموافق سنة ١٩٤٠ و كان قد سئل لبيان الحكم الشرعي فيما طلبه رئيس خدم مسجد عز الدين أيك من دفنه في

(١) المرسلات : (٢٥ - ٢٦) .

أحد القبرين اللذين بهذا المسجد فأجاب « ونفيد : أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت : لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره فإن المساجد لا يجوز تشييدها بالمقابر . وقال في فتوى أخرى إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً الخ ا . هـ وذلك لأن في الدفن في المسجد إخراجاً لجزء من المسجد عما جعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر وتدريس العلم وذلك غير جائز شرعاً ولأن اتخاذ قبر في المسجد على هذا الوجه الوارد في السؤال يؤدي إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده . وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٥٨ ما نصه « إن النصوص عن النبي ﷺ تواترت بالنهي عن الصلاة عند القبور مطلقاً واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها » ا . هـ ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي مرثد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » وقال ابن القيم « نص الإمام أحمد وغيره على أنه : إذا دفن الميت في المسجد نبش : وقال - أي ابن تيمية - لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر بل أيهما طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق : إلى آخر ما قال في كتابه (زاد المعاد) وقال الإمام النووي في شرح المذهب ص ٣١٦ ما نصه « اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أو غيره لعموم الأحاديث - قال الشافعي والأصحاب : وتكره الصلاة إلى القبور سواء كان الميت صالحاً أو غيره قال الحافظ أبو موسى : قال الإمام الزعفراني رحمه الله : ولا يصلى إلى قبر ولا عنده تبركاً به ولا إعظاماً له للأحاديث ا . هـ وتشتد الحرمة كلما كان القبر معظماً وفي مقدمة المصلين ومن صلى جاهلاً وجود القبر فلا إعادة عليه . وفي مغازي ابن اسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة : خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعا له كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت : فما صنعتكم بالرجل ؟ قال : حفرنا له

بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاث مائة سنة قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض . قال ابن القيم : ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله وقال شيخ الإسلام : وهو إنكار منهم لذلك فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء قصدها ليصلى عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله عندها أو ليسكن عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً . هـ .

وذكرهم بأيام الله

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (١) أى قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : بنعم الله عليهم وقاله أبى بن كعب ورواه مرفوعاً أى بما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن التيه إلى سائر النعم وقد تسمى النعم بالأيام وعن ابن عباس أيضاً ومقاتل : بوقائع الله فى الأمم السابقة وقال ابن زيد : يعنى الأيام التى انتقم فيها من الأمم الخالية وقال الطبرى : وعظم بما سلف فى الأيام الماضية لهم أى بما كان فى أيام الله من النعمة والحنة وقد كانوا عبيداً مستذلين واكتفى بذكر الأيام عنه لأنها كانت معلومة عندهم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى ابن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله - وأيام الله بلاؤه ونعمائه » وذكر حديث الخضر . . ودل هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب المقوى لليقين الخالى من كل بدعة والمنزه عن كل ضلالة

(١) إبراهيم (٥)

وشبهة ومن الأيام المشهورة يوم الجمعة وهو يوم عيد لهذه الأمة ، قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد » رواه البخارى . وفى هذا اليوم خلق آدم وفيه مات وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة إجابة يتحررها المسلم بالدعاء والعمل الصالح ومن الأيام الفاضلة يوم عرفة وعشر ذى الحجة ويوم عاشوراء فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى وعن حفصة قالت : أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام عاشوراء والعشر (أى من ذى الحجة) وثلاثة أيام من كل شهر وألركعتين قبل الغداة رواه أحمد والنسائى وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا - أهل الإسلام - وهى أيام أكل وشرب » رواه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه الترمذى وقد نهى النبى ﷺ عن صوم يوم عرفة لمن وقف بعرفات وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبى ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال : « ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال ﷺ : « أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه » متفق عليه . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذة عيداً فقال رسول الله ﷺ : « صوموه أنتم » متفق عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يارسول الله : إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال إذا كان العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ رواه مسلم وأبو داود .

وأفضل الليالى ليلة القدر لقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ (١) أى العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهى تنتقل فى ليالى الوتر من العشر

(١) القدر (٢٠١) .

الأواخر وأرجى الوتر ليلة السابع والعشرين من رمضان روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وروى أحمد وابن ماجه والترمذى - وصححه - عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال : « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » والأعياد من أعظم شعائر الدين وعيد الأضحى هو أشرف العيدين فعن أنس رضى الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال ﷺ « أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود وهو صحيح وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يغدو إلى المصلى فى يوم عيد » رواه البخارى ومسلم ويندب إحياء ليلتى العيدين بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار والعطاء للبائسين قال تعالى ﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ^(١) وقال سبحانه ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ ^(٢) قال البخارى : قال ابن عباس : هى أيام التشريق وهى : اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة وروى عقبة بن عامر عن النبى ﷺ أنه قال « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى : عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ﷺ : « يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » وفى الصحيحين أيضاً أنه قال : « دعهما يا أبا بكر فإنهما أيام عيد وتلك الأيام أيام منى » .

مخالفة أصحاب الجحيم فى أعيادهم

فموافقة أهل الكتاب فى أعيادهم لا تجوز لأن هذا ليس من ديننا ولا إعادة سلفنا وفى موافقتهم مفسدة أى مفسدة وقد قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم وفى تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ ^(٣) قال ابن سيرين هو الشعانين وقال مجاهد هو أعياد المشركين وكذلك عن الضحاك وقال عمر

(١) البقرة : (١٨٥)

(٢) البقرة : (٢٠٣)

(٣) الفرقان : (٧٢)

« إياكم ورطانة الأعاجم وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم فى كنائسهم وأعياد المشركين جمعت الشبهة والشهوة والباطل ولا منفعة فيها فى الدين وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم فصارت زوراً وحضورها شهودها . والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد . إما يعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك وفى شروط عمر رضى الله عنه التى اتفقت عليها الصحابة وسائر الفقهاء بعدهم : أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم فى دار الإسلام وسموا الشنعانيين والباعوث فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من إظهارها فكيف يسوغ للمسلمين فعلها ؟ أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها مظهراً ؟ لها وعن عبد الله بن عمرو قال « من بنى ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة » وقد كره على رضى الله عنه موافقتهم فى اسم يوم العيد الذى ينفردون به فكيف بموافقتهم فى العمل ؟ وما يفعلونه فى أعيادهم معصية لله لأنه إما محدث وإما منسوخ وأحسن أحواله - ولا حسن فيه - أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلى بيت المقدس ومعلوم أن استقبال الكعبة ركن من أركان الصلاة . نعم هؤلاء اليهود والنصارى يقرون على دينهم المبتدع والمنسوخ بشرط أن يكونوا مستترين به والمسلم لا يقر على دين مبتدع ولا منسوخ لا سراً ولا علانية وأما مشابهة الكفار فكمشابهة أهل البدع وأشد . ومشابهتهم فى بعض أعيادهم كعيد الميلاد توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل بل هم ودوا لو بذلوا الأموال العظيمة فى سبيل مشاركة المسلمين لهم فى أعيادهم فلا يصح إجابة الدعوة لأعياد الكفار ولا تقبل هداياهم بل لا يبيعهم المسلم ما يستعينون به على عيدهم ولا يجوز معاونتهم فى أعيادهم وقد انخدع كثير من المسلمين بحيل الكفار فتراهم فى عيد الميلاد وشم النسيم ونحوها يظهرون الفرحة والسرور ويخرجون إلى المنتزهات ويلقون الأنوار والزينات ويملاؤن المحال التجارية والفنادق بشجرة عيد الميلاد وبابا نويل وكل هذا تشبه بأهل الكتاب ثم هم هم يستنكفون عن لبس الجديد وإظهار الفرحة والبهجة بحجة كبر السن وهكذا كما قال العلماء ما دخلت بدعة إلا خرجت فى المقابل سنة والمشتكى إلى الله من غربة الإسلام وسط بني . ولكنها غمة توشك أن تزول بإذن الله .

بدعة عيد مولد النبي ﷺ

والبدع لم تقف بالناس عند حد فقد اختراع الناس مواسم وأعياداً مثل عيد الأم وعيد الربيع وعيد الطفل وبدعة عيد خم والاحتفال بليلة النصف من شعبان وبأول خميس من رجب والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج وكل هذه بدع وكلها أيضاً ضلالات لأن الأعياد أمور توقفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان ويرجع في معرفتها لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ لا لاختراعات البشر قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١) ومن هذه البدع ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له والمحبة الحقيقية هي التي توجب الاتباع لسنته ﷺ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٣) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ واتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده أمر لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته واتباع أمره واحياء سنته باطنا وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان . وهؤلاء الذين يحرصون على أمثال هذه البدع فتورهم واضح تجاه كثير من السنن وهم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه . فاحرص رحمك الله على التمسك بالسنة ظاهراً أو باطناً في خاصتك وخاصة من يطيعك واعرف المعروف وأبكر المنكر وادعو الناس إلى الاستمسك بسنة النبي ﷺ فهو سبيل النجاة . راجع كتاب اقتضاء الصراط المستقيم (لشيخ الإسلام ابن تيمية) .

(٢) آل عمران : (٣١) .

(١) المائدة : (٣) .

(٤) النور : (٥١) .

(٣) النساء : (٦٥) .

كيف نجهل شهر ذى القعدة وذى الحجة ونعرف مارس وأبريل ؟

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ (١) فبين سبحانه أنه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مراتبها عليه يوم خلق السماوات والأرض وأنزل ذلك على أنبيائه فى كتبه المنزلة وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها وتعلق الأحكام على الأسماء التى رتبوها عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع : « أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض » وأن الذى فعل أهل الجاهلية من جعل المحرم صفرًا وصفر محرمًا ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى والأشهر الحرم الأربعة المذكورة فى هذه الآية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان وهو رجب مضر وقيل له رجب مضر لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمون رجبًا وكانت مضر تحرم رجبًا نفسه وروى البخارى عن أبى رجا العطاردى قال : كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاء فحلبنا عليه ثم طفنا به فإذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنه فلم ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناها فألقيناه . فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى بارتكاب الذنوب لأن الله سبحانه إذا عظم شيئاً من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة وإذا عظمه من جهتين صارت حرمة متعددة ومن أطاع الله فى الشهر الحرام فى البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه فى الشهر الحلال فى البلد الحرام وقد خص الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريعاً لها وإن كان منهياً عنه فى كل الزمان كما قال : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ فالطاعة فى هذه الأشهر ليست كالطاعة

(١) التوبة (٣٦) .

فى بقية العام وكذلك المعصية فى هذه الأشهر ليست كالمعصية فى غيرها من الأشهر .

قال القرطبى هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التى تعرفها العرب دون الشهور التى تعتبرها العجم والروم والقبط وإن لم ترد على اثنى عشر شهراً لأنها مختلفة الأعداد منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص والذى ينقص ليس يتعين له شهر وإنما تفاوتها فى النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر فى البروج ا . هـ فكيف يتعبد الإنسان لربه إذا جهل الأشهر العربية وما ارتبط بها من أحكام ؟ يقول تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ (١) وهى شهر شوال وذى القعدة وذى الحجة وقال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٢) وقال جل شأنه : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ (٤) وسواء كانت العشر هى عشر ذى الحجة أو عشر رمضان الأخيرة أو غير ذلك فكل هذا يتعلق بالأشهر العربية وهى أيام مباركات أقسم بهارب العزة جل وعلا . وقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ ﴾ (٥) . وقال : ﴿ وَالْمُطَلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٦) وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ (٧) ويقول النبى ﷺ : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر » رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى وعن أبى هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : « الصلاة فى جوف الليل » قيل : ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال شهر الله الذى تدعونه المحرم » رواه أحمد ومسلم .

(١) البقرة : (١٨٩) .

(٢) البقرة : (١٨٤) .

(٣) البقرة : (١٩٧) .

(٤) البقرة : (٢٢٨) .

(٥) البقرة : (٢١٧) .

(٦) الفجر : (١ - ٢ - ٣) .

(٧) البقرة : (٢٣٤) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : (ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياماً في شعبان) رواه البخارى ومسلم وعن أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة وعن رجل من باهلة : أنه أتى النبی ﷺ فقال : يا رسول الله أنا الرجل الذى جئتكَ عام الأول فقال : « فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ قال : ما أكلت طعاماً إلا بليل منذ فارقتك : فقال رسول الله ﷺ : لم عذبت نفسك ؟ ثم قال : صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر . قال : زدنى فإن بى قوة قال : صم يومين قال : زدنى قال : صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك وقال بأصابه الثلاثة فضمها ثم أرسلها » رواه أحمد وأبو داود والبيهقى بسند جيد . وقال عمر رضى الله عنه « إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين أما يوم الفطر ففطركم من صومكم وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم » رواه أحمد والأربعة وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف فى منى « أن لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » رواه أحمد بإسناد جيد وقال عمار بن ياسر رضى الله عنه : (من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ) رواه أصحاب السنن . وهذا الذى ذكرناه وغيره كثير يدل دلالة واضحة على أهمية التعرف على الأشهر العربية ومعرفة الأحكام التى ارتبطت بها فمن العيب الكبير أن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير فتتعرف على يناير وفبراير وأن هذا الشهر فيه كذبة أبريل وهذا يشتمل على شم النسيم أو عيد الميلاد أو غير ذلك من الأمور التى تضر ولا تنفع والعلم بها غالباً هو من جملة العلم الذى لا ينفع وعلينا أن نعود بأنفسنا وأبناءنا وإخواننا مرة ثانية للتعرف على الأشهر العربية وإشاعتها وسط الناس ودعوة الناس جميعاً لتقديم ما قدم الله ورسوله وتأخير ما أخره الكتاب والسنة .

آدم أول من تكلم باللغات كلها

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها ولما ذكروا اسم الآنية واسم السوط عند ابن عباس قال : وعلم آدم الأسماء كلها . وفي البخارى من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : « ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقتك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء » الحديث . قال ابن منداد : فى هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلاً كذلك قال ابن عباس : علمه أسماء كل شيء حتى الجنة والمحب والمحب وعن قتادة قال : علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة وسمى كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه قال النحاس : وهذا أحسن ما روى فى هذا والمعنى علمه أسماء الأجناس وعرفه منافعها هذا كذا وهو يصلح لكذا وقال الطبرى علمه أسماء الملائكة وذريته واختار هذا ورجحه بقوله : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ وقال ابن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم وقيل أسماء الأجناس والأنواع . والقول الأول أصح . وروى عن كعب الأخبار أن أول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها وتكلم بالألسنة كلها آدم عليه السلام وقاله غير كعب الأخبار . فإن قيل قد روى عن كعب الأخبار من وجه حسن قال : أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذى ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « أول من فلق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين » وقد روى أيضاً : أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان . وقد روى غير ذلك قال القرطبى فى تفسيره : الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام والقرآن يشهد له قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ واللغات كلها أسماء فهى داخلة تحته وبهذا جاءت السنة قال ﷺ : « وعلم آدم الأسماء كلها

(١) البقرة : (٣١) .

حتى القصعة والقصيعة » وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولاً على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا والله أعلم . وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علمها الله آدم أو جبريل على ما تقدم والله أعلم ا . هـ وقد جعل سبحانه اختلاف الألسنة آية من آياته فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاختِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ (١) فاختلاف اللغات تبعاً لاختلاف الألسنة من عربية وعجمية وتركية ورومية واختلاف الألوان في الصور : من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين فلا بد من فاعل فاعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل الدلائل على المدير الباري ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴾ أى للبر والفاجر . والناس كلهم لآدم وآدم من تراب ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

العامية دعوة تغريبية ومعرفة العربية فرض واجب

وذلك لأن فهم الكتاب فرض ولا يتم إلا بفهم العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد كتب عمر لأبي موسى الأشعري : أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي . ويقول : تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم . وقد عود المسلمون أهل مصر وغيرها العربية وكانت لغة أهلها رومية ولما هجرت العربية بخراسان غلبت عليها الفارسية وهذا مكروه وينبغي تلقين اللغة العربية للصغار حتى يظهر شعار الإسلام وأهله ويكون أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وقد كره أحمد أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية وبأسماء لا تعرف خشية كونه محرماً فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه وكراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية فاللسان العربي شعار الإسلام وأهله وقد كره الفقهاء

(١) الروم : (٢٢) .

الأدعية التي في الصلاة والذكر بغير العربية . أما الخطاب بالفارسية ونحوها من اللغات من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب وأما مع العلم به فكلام أحمد بين في كراهته أيضاً فإنه كره أذرمه ومعناه ليس محرماً وكره الدعاء في الصلاة بالفارسية وقال لسان سوء واستدل بنهي عمر عن الرطانة مطلقاً ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية فينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية ومعلوم أن الواجبات تسقط بالعذر والعجز وبعدم الاستطاعة ولكن لا بد من بذل الوسع في الأخذ بالأسباب . وقد كره العلماء أن يتكلم الرجل بالعربية خالطاً لها بالعجمية قال عمر رضي الله عنه : ما تعلم الرجل الفارسية إلا خب ولا خب رجل إلا نقصت مروءته ولما سمع محمد بن سعد بن أبي وقاص قوماً يتكلمون بالفارسية فقال : ما بال الفارسية بعد الحنيفة وقال رسول الله ﷺ : « من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق » ونقل عن طائفة منهم أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية ولعل لكون المخاطب بها أعجمياً أو قد اعتاد العجمية يريدون بذلك تقريب الأفهام عليه كقول النبي ﷺ لأم خالد وكانت صغيرة وولدت بأرض الحبشة فكساها قميصاً وقال : « يا أم خالد هذا سنا والسنا بلغة الحبشة الحسن » وقال أبو هريرة لمن أوجعه بطنه : أشكم بدر . أما بالنسبة لمخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم بلغتهم فإن هذا حسن للحاجة وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه وقراءة كتب الأمم وكلامهم بلغتهم وترجمتها بالعربية أمر لا بأس به كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود عليه . وقد كثرت اللهجات في اللغة الواحدة حتى حالت دون سهولة الاتصال فترى المصري لا يفهم لهجة المغربي أو الجزائري مثلاً ولو تكلم الجميع باللغة العربية لغة القرآن لسهل التفاهم وتحققت منافع كثيرة وتأكدت الروابط بين أبناء الأمة فاللغات من أعظم شعائر الأمم . ولذلك فإحلال العامية محل اللغة العربية ما هي إلا محاولات لقطع الصلات بين العالم الإسلامي ومقاومة لغة القرآن لإبعاد المسلمين عن دينهم وهذه المخططات تخرج بعناوين براقعة مثل قول

البعض : نحن نملك اللغة كما كان القدماء يملكونها ولنا أن نضيف إليها ما نحتاج إليه من ألفاظ لم تكن مستعملة من قبل ، والدعوة لإسقاط القافية ونظرية الحدائة ويساعد فى الترويج لهذه الدعوة أدباء وكتاب وشعراء مستخدمين فى ذلك كل وسائل التوجيه من جرائد ومجلات وإذاعة ومدارس أجنبية ولغات . ونحن نعيش هذه الصحوه المباركة لا بد من حماية اللغة من اقتحام ألفاظ اللغات الأجنبية والحذر من خطر الدعوة إلى اسقاط حركات الإعراب وذلك لأن اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والدين والأخلاق . ومن عجيب الأمر أن ينتبه الغرب والشرق لأهمية اللغة ونفرت نحن فى لغتنا بهذه البساطة ففى فرنسا يقولون : إن اللغة هى الجنسية وفى ألمانيا اللغة مادة المواد والمادة العليا وفى أفريقيا حيث التبشير يوجه للغة أكبر قدر من الحرب من أجل معارضة نمو الإسلام وقد كانت له السيادة فى أفريقيا قبل إحلال اللغة العربية باللغات الأجنبية واللهجات الأفريقية وفى حرب الجزائر التى استمرت مائة عام تم فيها القضاء على اللغة وتحويل اللسان الجزائرى إلى لسان فرنسى ومراكز تعليم اللغة العربية فى جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين تنفر أبناء المسلمين غير العرب من تعلم العربية وتردد قول المستشرقين بأنها لغة لاتصلح للحياة إلا لمجتمع بدوى وأنها لا تساير الحياة الحضارية فهل يليق بنا بعد ذلك أن نتشرب هذا السم وهذه المؤامرات فنستبدل الأسماء العربية بأسماء أجنبية ويحدث ذلك فى المحلات وفى تسمية الأبناء . فانتبهوا رحمكم الله لما يراد بكم فالغزو الثقافى على اللغة ، بالغ الدقة حيث أنها مفتاح الحرب نحو العقيدة والقرآن نفسه والاحتلال البريطانى عندما بدأ هنا قام بوضع خطة لتحطيم اللغة وكان من جملة ما صنعوه أن مدرس اللغة العربية كان يتقاضى أربعة جنيهاً فى الوقت الذى كان يتقاضى فيه مدرسو اللغة الإنجليزية اثنى عشر جنيهاً شهرياً ولك أن تتخيل ما يترتب على ذلك من استهانة باللغة العربية وكل ما يمت لها بصلة فلا بد من العودة للإسلام ولتعلم لغة القرآن إذا كنا نطلب الرفعة والسيادة .

أسباب الشهرة وصناعة المشاهير

ذكرنا أن الشهرة قد تكون بالحق وقد تحدث بالباطل وأسبابها قد تكون مباحة

ومشروعة وقد توصف بالتحريم ثم بالنظر إلى موضوع الشهرة فقد يكون خلقها جبلياً وقد يكون مكتسباً وبالجملة فالفضل كله بيد الله والخير كله بيديه سبحانه والشر ليس إليه وقد كان من دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رب احملني على فضلك ولا تحملني على عدلك . وذلك لأن الإنسان لو وكل لنفسه لهلك : ﴿ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ (١) والعبد يحتاج لهداية ربه وتوفيقه وتسديده أكثر من احتياجه للماء والهواء ولذلك لا عجب أن يدعو ربه كل يوم في صلاته ويقول : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ والناس على اختلاف أصنافهم وأشكالهم يتقلبون بين الفضل والعدل في الدنيا والآخرة ففي الحديث القدسي الذي رواه مسلم : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » وفي نهايته يقول رب العزة جل وعلا : « يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم بإياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » فمن تمام رحمته سبحانه ورأفته بالخلق أنه ركب بالعباد عقولاً وأودع فيهم فطراً وأنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ليحيي من حيي عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة ولن يهلك على الله إلا هالك فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . والفعل لكي يتم لا بد من علم وقدرة وإرادة فمثلاً قيام الليل لا يتم إذا لم يعلم العبد فضيلته أو مشروعيته أو افتقد القدرة على القيام بأن كان عاجزاً أو لم تنبعث نيته ولم تتحرك همته تجاه هذه الطاعة ، ثم العبد قد يكون جاهلاً فيعذر بجهله والواجب عليه أن يأخذ بأسباب العلم لرفع الجهالة عن نفسه و ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة . والعبد مع حرصه على إخلاص العبودية لله جل وعلا قد يشتغل أمره ويرتفع ذكره وخبره بل وردت أدلة تقيد استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل ونحن نتكلم بإذن الله على بعض هذه المعاني .

﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾

وهذا من جملة الدعاء الذي توجه به إبراهيم عليه السلام لربه تبارك وتعالى بعد ثناءه

(٢) الشعراء (٨٤)

(١) يوسف (٥٣) .

عليه قال ابن عباس : هو اجتماع الأمم عليه وقال مجاهد : هو الثناء الحسن . قال ابن عطية : هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين وكذلك أجاب الله دعوته وكل أمة تملك به وتعظمه وهو على الخيفية التي جاء بها محمد ﷺ . وقال ليث بن أبي سليم : كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة وقال مكى : وقيل معناه سؤاله أن يكون من ذريته فى آخر الزمان من يقوم بالحق فأجيب الدعوة فى محمد ﷺ قال ابن عطية : وهذا معنى حسن إلا أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ وقال القشيري : أراد الدعاء الحسن إلى قيام الساعة فإن زيادة الثواب مطلوبة فى حق كل أحد وقد استجاب ربنا جل وعلا دعاء إبراهيم فليس أحد يصلى على النبي ﷺ إلا وهو يصلى على إبراهيم وخاصة فى الصلوات وعلى المنابر التى هى أفضل الحالات وأفضل الدرجات والصلوة دعاء بالرحمة . وروى أشهب عن مالك قال : قال الله عز وجل : ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً ويرى فى عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى وقد قال الله تعالى : ﴿ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾ (١) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ (٢) أى حباً فى قلوب عباده وثناء حسناً فبه تعالى بقوله : ﴿ واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ﴾ (٣) على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل قال الليث بن سليمان : إذ هى الحياة الثانية . قيل : قدم مات قوم وهم فى الناس أحياء .

قال ابن العربي : قال المحققون من شيوخ الزهد فى هذا دليل على الترغيب فى العمل الصالح الذى يكسب الثناء الحسن . هـ . وهذا الدعاء وذلك الحرص ليس خاصاً بإبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ هو إمام الحنفاء وقد أمرنا بالاعتداء به ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .

صلة الرحم سبب بقاء الذكر الجميل

أخرج الترمذى وقال حسن غريب عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال

(٢) مريم (٩٦) .

(١) طه (٣٩) .

(٣) الشعراء (٨٤) .

رسول الله ﷺ : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » وفي رواية « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا الرزق » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن ثوبان رضي الله عنه وفي لفظ الحاكم تقديم وتأخير وعن رافع بن مكيث قال : قال رسول الله ﷺ : « حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء » أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي بسند رجاله ثقات إلا أن فيه راوياً لم يسم . وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة وقال : « إني رأيت البارحة عجبا : رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه » رواه أبو موسى المديني في الترغيب وقال : هذا حديث حسن جداً . قال ابن تيمية : إن أصول السنة شاهدة له قال : وإذا تتبع متفرقات شواهد رأيت منها كثيراً . (نقله المناوي في الفيض) وقد يقول قائل : إن الآجال مقدرة لا تزيد ولا تنقص ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (١) قد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة .

الأول : أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وقد سبق في علم الله أن يبر أو يعق فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر وهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون والذي في علم الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقصان .

الثاني : أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت ذكره القاضي عياض وقال الطيبي : ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم ومن هذا قول الخليل عليه السلام ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٢) .

الثالث : أن زيادة العمر ذرية صالحة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من : صدقة جارية أو علم

(٢) الشعراء (٨٤) .

(١) النحل (٦١) .

ينتفع به أو ولد صالح يدعوله» رواه مسلم . وعن أبي هريرة أيضاً «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجد بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته» أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن ورواه ابن خزيمة . وابن الإنسان من عمله وكسبه وهو من جملة آثاره ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ (١) ﴿ وَأَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٢) لذلك كان حرص الأنبياء على طلب الولد الصالح فمن دعائهم ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتًا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٣) ودعا زكريا ربه فقال : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى وَكَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ عَالٍ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ (٤) والورثة المذكورة في الآية هي وراثه العلم النافع والعمل الصالح .

وكانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات (أبتر) فيقال : إن العاص وقف مع النبي ﷺ يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش : مع من كنت واقفاً؟ فقال : مع ذلك الأبتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وكان من خديجة فأنزل الله جل شأنه : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (٥) أى المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة . وقيل نزلت بشأن أبي جهل أو عقبة بن أبي معيط وبالجملة فكل أمر انقطع من الخير فهو أبتر .

الرابع : أن المراد نفى الآفات عن صاحب البر في فهمه وعقله .

الخامس : أن الزيادة في الأوقات المعدودة لافى الأنفاس المحدودة .

السادس : وهو الذى ارتضاه الجم الغفير وصححه النووى أن الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة وصيافته عن تضييعه فى غير ذلك قال الحافظ : ومثل هذا ما جاء أن النبي ﷺ تقاصر أعمار أمته

(٣) الفرقان (٧٤) .

(٢) النجم (٣٩) .

(١) يس (١٢) .

(٥) الكوثر (٣) .

(٤) مريم (٦٠-٥) .

بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر وحاصله أن البر يكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى ينفع به من بعده والصدقة الجارية والخلف الصالح . هـ .

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(١) .

أى انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله . والاعتراف بها شكر وعن مجاهد ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ قال بالقرآن وعنه قال : بالنبوة : أى بلغ ما أرسلت به والخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : إذا أصبت خيراً أو عملت خيراً فحدث به الثقة من إخوانك وعن عمرو بن ميمون قال : إذ لقي الرجل من إخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا قرأت كذا وصليت كذا وذكر الله كذا وفعلت كذا فقلنا له يا أبا فراس إن مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وتقولون أنتم : لا تحدث بنعمة الله ونحوه عن أيوب السخيتاني وأبى رجاء العطاردي رضى الله عنهم وروى الشعبى عن النعمان بن بشير قال : قال النبي ﷺ : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وروى النسائي عن مالك بن نضلة الجشمي قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالساً فرأيت رث الثياب فقال : « ألك مال ؟ » قلت نعم يا رسول الله من كل المال قال : إذا أتاك الله مالا فليبر أثره عليك » وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده » . والنعمة سبب الشكر والشكر سبب المزيد فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبِّكُمْ لَئِنْ شَكَّرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(٢) وقد يشكل على البعض الجمع بين ما ذكرناه وبين ما جاء فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً

(٢) إبراهيم : (٧) .

(١) الضحى : (١١) .

ففاضت عيناه وهى تدل على الحرص على إخفاء الطاعات والاستتار بها . ولا تعارض ولا تنافي بين المعنيين فالأمر يدور بين الأتقياء البارزين المشهورين وبين الأتقياء الأخفياء وكلاهما سواء أظهر طاعته أم استتر بها فله نية حسنة ومقصد نبيل ولا يصح اتهام الناس فى نواياهم حتى وإن نصحناهم بإخلاص العبودية لله تعالى إذ لا يطلع على ما فى القلوب إلا الله تعالى ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (١) وشبيه بهذا قيام الليل وهل الأفضل فيه الجهر أم الاستسرار فمن فضل الجهر قال لأن الخير فيه متعد للآخرين وفيه زيادة عمل وقد يتأس به الآخرون فى فعله ومن فضل الاستسرار قال لأنه أبعد عن الرياء وحتى لا يوقظ من احتاج للنوم وعموماً فالأمر يحتاج إلى نظر وروية ومعرفة بواقع الحال وعدم تسرع فى الحكم على الخلائق والسلامة لا يعدلها شئ وخصوصاً إذا ضعف الإيمان وتخوف الإنسان الرياء على نفسه وإلا فمن يأمن على نفسه وخصوصاً مع معرفته بتقصيرها وتفريطها والأمر كما ترى يحتاج إلى مجاهدة صادقة فى الجمع بين المصالح ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٢) .

سبب شهرة الأئمة الأربعة

اشتهر الأئمة الأربعة بالعلم والصلاح وهم : الإمام أبو حنيفة النعمان ومالك ابن أنس ومحمد بن إدريس الشافعى وأحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً ومحبتهم فى قلوب الخلق ومعلوم مدى البذل الذى بذلوه والجهاد الذى جاهدوه فى إبلاغ الحق إلى الخلق فقد جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ولكن من عجيب الأمر أن هذه المعانى تواجدت فيهم وفى غيرهم من علماء الأمة الاعتباريين كسفيان الثورى رحمه الله والليث بن سعد وغيرهم وعلماء الأمة لا يحصون كثرة ولا يقتصرون على الأئمة الأربعة فلماذا اشتهر هؤلاء دون غيرهم ؟ والإجابة على ذلك أن الله تعالى قيض تلامذة خدموا مذاهب الأئمة الأربعة فى فهم الكتاب والسنة ، وكثر عدد المشتغلين عليهم بطلب العلم فانتشر خبرهم واشتهر علمهم أكثر من غيرهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(١) غافر : (١٩) .

(٢) النعكوت : (٦٩) .

كثرة القراءة والسبب في الاختصار على السبعة

قد أسهم المؤلفون في القراءات في الاختصار على عدد معين لأنهم إذ يؤلفون مقتصرين على عدد مخصوص من أئمة القراء يكون ذلك من دواعي شهرتهم وإن كان غيرهم أجل منهم قدرأ فيتوهم الناس بعد أن هؤلاء الذين اقتصر التأليف على قراءاتهم هم الأئمة المعتبرون في القراءات وقد صنف ابن جبير المكي كتاباً في القراءات فاقصر على خمسة اختار من كل مصر إماماً وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأبصار ويقال إنه وجه سبعة : هذه الخمسة ومصحفاً إلى اليمن ومصحفاً إلى البحرين لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين ومصحف اليمن قارئين كمل بهما العدد ولذا قال العلماء : إن التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر فلو أن ابن مجاهد مثلاً كتب عن غير هؤلاء السبعة بالإضافة إليهم لاشتهروا قال أبو بكر بن العربي : ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم وكذا قال غير واحد من أئمة القراء وقال أبو حيان : ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر رويأ ثم ساق أسماءهم واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيدي واشتهر عن اليزيدي عشرة أنفس فكيف يقتصر على السوسى والدورى وليس لهما مزية على غيرهما لأن الجميع مشتركون في الضبط والاتقان والاشتراك في الأخذ قال : ولا أعرف لهذا سبباً إلا ما قضى من نقص العلم . هـ من الاتقان وضوابط القراءة الصحيحة هي :

(١) موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه سواء أفصح أم فصيحاً .

(٢) أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

(٣) أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد لأن القراءة سنة متبعة يعتمد فيها على سلامة النقل وصحة الرواية .

وخلاصة القول أن من أعظم أسباب بقاء الذكر الجميل الدعاء وتحقق الإنسان بالعلم النافع والعمل الصالح وتقييض من يساعد ويساهم في اشتهاار الحال كطلبة علم كما حدث مع الأئمة الأربعة أو بكتاب متداول مشهور ككتاب أبي بكر بن مجاهد مما ساعد على اشتهاار القراء السبعة وقد تكون الخصومة والعدواة سبباً في اشتهاار أمر الإنسان كما حدث من كفار قريش مع رسول الله ﷺ في بداية الدعوة فقد وقفوا على مشارف الطرق يحذرون الناس من رسول الله ﷺ مما دعا هؤلاء للتعرف عليه وعلى دعوته وسيرته العطرة ﷺ وربنا جل وعلا قد يخدم هذا الدين بالرجل الفاجر . وكما ترى فالأمر كله يعود إلى الأخذ بالأسباب الشرعية متى وجدت وتفويض الأمر كله لله وأن تعلم أن الأمور تجري بقدر وأن الفضل كله بيد الله .

ميكيا فيللى أحد صناع الشهرة الزائفة

ولد هذا الخبيث عام ١٤٦٩ م وتوفى عام ١٥٢٧ م . وقد أودع تعاليمه الخبرة كتابه (الأمير) الذى يحرص رجال السياسة والحكم على التلمذ عليه والاهتداء بهديه وقد وصلت به الجرأة إلى تنبيه الناس إلى نبذ الفضائل عند الاقتضاء وتحت عنوان (كيف يكون وفاء الأمير) يقول ما نصه : لا ينبغي للأمير الحذر أن يحفظ العهد إذا كانت ضد مصلحته وما دامت الأسباب التى دعت للوعد قد انقضت عهداً (المقصود بالأمير حاكم المقاطعة) إذا كان الناس كلهم أحياناً فإن القاعدة التى ذكرتها تكون لاشك سيئة ولكنهم أشرار ولن يحفظوا لك عهداً فلست مضطراً لحفظ عهودهم ثم إن الأمير لا يفقد حيلة شرعية يركن إليها إذا لم يف بوعده وأن الأمثال فى هذا الباب كثيرة تثبت أن السلم قد تزعزع مراراً وأن الوعود قد نسيت تكراراً بأمرأ لا وفاء لهم وأن الذين استطاعوا من الأمراء تقليد الثعلب قد فازوا وانتصروا ولكن من الضرورى أن يخفى الرجل هذه الخليقة وأن يكون ماهراً فى فن التظاهر بغير شعوره ثم أن الناس من البساطة بمكان وهم أصحاب حاجات وصاحبها أرعن مطيع فلا يعدم الخادع فريسته . ثم يقول ميكيا فيللى بعد ذلك بقليل ما نصه : ليس من الضرورى أن يتصف الأمير حقيقة بكل الفضائل التى سبق الكلام عليها ولكن من الضرورى أن يذاع عنه الاتصاف بها وإننى

أجسر فأقول : إن الاتصاف بكل تلك الفضائل خطر ولكن الظهور بالتحلى بها نافع إنه من الخير لك أن تظهر بالتقوى والأمانة وحب الإنسانية والدين والإخلاص وأن تكون فى الواقع كذلك ولكن ينبغى أن تكون متبهاً بحيث إذا اضطرت للتحول إلى الصفات الأخرى كان ذلك بدون مشقة وينبغى العلم بأن الأمير لاسيما الحديث لا يمكنه ممارسة كل تلك الخلال الموصوفة بالحسن لدى الرجال لأنه يكون فى أغلب الأحيان مضطراً للاحتفاظ بالملك فيعمل ضد الإيمان والإحسان والإنسانية والدين لذا ينبغى أن يكون له عقل سهل التحول والانتقال حسبما يقتضيه تقلب الأحوال وألا يترك صنع الخير ما استطاع وأن يكون قادراً على صنع الشر إذا احتاج لذلك وينبغى للأمير ألا يحرك لسانه بكلمة لاتدل على أنه متحل بالخلال الخمس السالفة الذكر فلا يرى فيه الرائي ولا يسمع منه السامع إلا الأمانة والعفة والتقوى وحب الإنسانية وأهم تلك الصفات صفة التقوى لأن الرجال يحكمون عادة بالنظر لا بالخبرة وكل الناس ترى فيك مظاهرك وقليلون يلمسون حقيقتك وهؤلاء القليلون لا يستطيعون أن يقاوموا الكثيرين المحتمين بسلطة الأمير . فليعش الأمير وليحافظ على عرشه دون النظر فى الوسائل فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريفة يمدحها الكل لأن العامة مأخوذون بالظواهر وبتائج الأشياء والعالم لا يشمل إلا العامة والقليلون من الخاصة لا يظهرون إلا عندما يضل الكثيرون . هـ . فالغاية عنده تبرر الوسيلة والدين لديه مطية ووسيلة للمحافظة على الحكم فحسب وأقواله لاتحتاج لتعليق كثير فهى تدل على عدم إيمان بالله ولا باليوم الآخر ثم لا تغفل الفارق الكبير بين رجال السياسة ورجال الدعوة وإلا فرجل الدعوة قد يقف فى مواطن الهداية حتى وإن كلفته نفسه كصاحب ﴿ يس ﴾ الذى أتى من أقصى المدينة يسعى قال : ﴿ يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ومالى لأعبد الذى فطرني وإليه ترجعون ﴾ فأخذوه وعاجلوه بالقتل فنصحهم ميتاً كما نصحهم حياً قال : ﴿ ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ .

كيف صنعوا المشاهير ببلادنا

كمثال والأمثلة كثيرة لا تنحصر انظر لما حدث فى ثورة سنة ١٩١٩ م فقد أبرق

اللورد اللنبى إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول (بعد تحريه شهراً وبعد تغيير إنجلترا لمدوبها فى مصر) .

(١) الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته .

(٢) أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة . فخرج سعد ليصرف الثورة من دينية إلى وطنية تنادى بتحرير التراب ويشترك فيها الجميع وقال قولته المشهورة : الدين لله والوطن للجميع . وكأن التراب بذلك أهم على صاحب الثورة من دينه وكان ما كان بعد ذلك من رفع شعار الوطنية كبديل عن كلمة الإسلام وليصبح بذلك سهماً من جملة السهام المسمومة التى أطلقت على جسم هذه الأمة لإبعادها عن دينها وعن إسلامها . وقد كتبت المصور يوم وفاة سعد زغلول تقول : وقد شارك البنائين الأحرار الماسون فى تشييع جنازة الزعيم الكبير وكان رحمه الله قطب من أقطاب الماسونية - ونشرت المقطم يوم الجمعة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم - فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضواً كبيراً وفضلاً كثيراً وذخراً وفيراً كانت تعتر بفضلله وستقام حفلة جنازته ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد ١ هـ . الأمر لا يدعو للتعجب فهو قبل موته كان يقول : خسرنا كل شىء وكسبنا صداقة الإنجليز . وقال أيضاً : الإنجليز خصوم شرفاء معقولون .

وقد بين جورج كيرك مؤلف كتاب (موجز تاريخ الشرق الأوسط) أن القومية العربية ولدت فى دار المندوب السامى البريطانى وأظهر كيف أقامت أمريكا زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية وما حدث من انقلابات من أجل ذلك .

ومن الأمثلة أيضاً : مصطفى كمال أتاتورك الذى وصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركى من سلطة السلاطين واتخذ مثالا يحتذى لكثير من الثورات فى البلاد العربية حتى أن شوقى بعد الانتصار المدبر على الإنجليز أنشد يقول :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب . يا خالد الترك جدد خالد العرب
ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى فى الآذان

وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية على الشعب التركي ونزع الحجاب ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى أنه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الإنجليزى وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة . وقد كان أتاتورك من يهود الدونمة وقدمت عائلته من المغرب وأخذ يترقى فى الجيش التركى وأحكمت خطة التلميع والإشهار بإنسحاب إنجلترا أمامه ليرجع بعد ذلك بصورة البطل المنتصر ويتمم الدور المطلوب منه بإلغاء الخلافة .

وفى محيط المرأة حدث نوع من الإشهار لبعض النسوة لجرائتهن على دين الله ولتحللهن من شرع الله وقد ركزت الجهات المشبوهة دوماً على دور المرأة ودعوتها للاختلاط بالرجال وخلع الحجاب والتحلل الذى يطلقون عليه اسم (حرية المرأة أو التحرر) ومن جملة النماذج السيئة المشهورة هدى شعراوى التى أسست الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٣ وكانت أول امرأة تسافر بلا محرم إلى أوروبا وحضرت أول مؤتمر دولى نسائى عقد فى روما سنة ١٩٢٣ والمؤتمر الثانى سنة ١٩٢٤ ولما وضلت من هناك نزع الحجاب أمام الجماهير هى وسيزا نبراوى سكرتيرتها وداستاه بأقدامهما . وكذلك أمينة السعيد التى قضت عمرها تصرخ بحرية المرأة وتعتدى على الإسلام وآدابه وأحكامه .

وخلاصة القول أن نعلم أن : صناعة هؤلاء المشاهير المزيفين وإبراز أفكارهم وآرائهم واضفاء الهالة حولهم ليكونون قدوة وقادة للناس إنما تتولاه فى الأعم الأغلب أجهزة ودوائر مشبوهة ويلعب أعداء الإسلام والمسلمين بصفة خاصة دوراً كبيراً فى ذلك فاليهودية العالمية وما يتبعها من مؤسسات وهيئات وأندية ماسونية كالروتارى والليونز ونحوهما تسعى لجذب الشخصيات الهامة سواء كانت سياسية أو فكرية أو فنية لتكون بمثابة الأداة لها لترويج أفكارها ثم تسلط الأضواء عليهم ويكفى أن تنظر للسيل الجرار من المجالات التى تركز على حياة الفنانين والفنانات مثل (الشبكة - الموعد - سمر - غرام - الفتاة الشرقية ... وماذا يُراد من ورائها إلا تحطيم وهدم هذه الأمة وإشهار كل ساقط وساقطة ولقد كان عدد كبير من فناني مصر المشهورين أعضاء فى المحافل المصرية

الماسونية قبل إغلاقها سنة ١٩٦٦ م . وإذا كانت النفس المطمئنة قرينها الملك يسدها ويوفقها . فالنفس الأمارة بالسوء قرينها الشيطان يعدها ويمنيها . والشيطان يحرص على زخرفة الباطل وتحسين صورته كما صنع مع أينما آدم حين قال : ﴿ هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (١) فصور له أنه إن أكل من هذه الشجرة التي نهى عنها فسيعيش حياة الخلد . ولذلك فهو يحرص أيضاً على إشهار أوليائه من الكافرين والمنحرفين حتى يفتن بهم الناس فيضلونهم ويقودونهم إلى حتفهم . وقد وصفه رب العزة جل وعلا بأنه ﴿ يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (٢) . فإذا رأيت الرجل يزداد شهرة مع انحرافه وتسلط عليه الأضواء مع انسلاخه من دين الله بل ويعيش مع ذلك حياة النجوم فلا بد من الحذر والتوجس واعلم أنه ما هو إلا العوبة في يد الشيطان لإضلال عباد الله ولفتح أبواب الشر والفساد على خلق الله ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣) . وقد ساعدت المخترعات الحديثة على سهولة الاتصال بحيث أصبح العالم بمثابة دائرة مغلقة فالأخبار التي تحدث في أقاصى الدنيا تنقل في نفس اللحظة وتدخل إلى كل بيت عن طريق الإذاعة والتلفزيون وغيرهما وهذا وإن كان فيه خير كثير إلا أنه لم يخلو من شر وفساد عظيم والواجب علينا أن نعيش حياة البصيرة حتى نميز بين الغث والسمين والإيمان والكفر والحق والباطل ويكون ميزاننا في ذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٤) .

(١) طه (١٢٠)

(٢) فاطر (٦)

(٣) التوبة (٣٢)

(٤) يوسف (١٠٨)

آفات الشهرة

الطريق إلى الشهرة طريق محفوف بالمخاطر لا ينفك عن كثير من الآفات التي قد تصل بالإنسان إلى أن يبيع دينه لنيل شهرة زائفة أو هالة كاذبة والمضرة قد لا تقتصر على شخصه بل هي كثيراً ما تنسحب إلى غيره ومن هنا ورد الحث على التواضع وترك حب الظهور فعن أبي هريرة مرفوعاً « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » رواه أحمد ومسلم وقال الحافظ (فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع) . واليك بعض الآفات التي تتعلق بالشهرة لتكون منها على حذر :

(١) إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وهذه صورة من صور الشرك وفيها يستخدم الإنسان دينه لنيل مآرب الدنيا كالذى يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك ولذلك سماه النبي ﷺ عبداً ففى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخمصة تعس عبد الخميلة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقية كان فى الساقية إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع » رواه البخارى . وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنتقاش وقال الطيبى : المعنى أنه إذا وقع فى البلاء لا يترحم عليه فإن من وقع فى البلاء إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ويتسلى بعض التسلى وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم . وهؤلاء رضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط فهذا عبداً ما يهواه من ذلك رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده . وهذه الأمور نوعان . فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله فى حاجته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه من غير أن

يستعبده فيكون هلوياً . ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذه ينبغي أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها وربما صار بالإضافة لذلك معتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لغير الله وهذا من أحق الناس بقول النبي ﷺ : تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم ... وعبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالي أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا هو الذى استكمل الإيمان . ثم قال طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه (وهو المجاهد فى سبيل الله) قال بعضهم : قيل إن هذا إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث لا يبتغى مالاً ولا جاهاً عند الناس بل يكون عند الله وجهاً ولم يقبل الناس شفاعته ويكون عند الله شفيعاً مشفعاً . وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيِّنَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا ﴾ (١) قال ابن عباس : (من كان يريد الحياة الدنيا) ، أى ثوابها أى مآلها وزينتها (نوفي إليهم) نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور فى الأهل والمال والولد (وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون . (وحبط ما صنعوا فيها) قال بعض المفسرين : وحبط فى الآخرة ما صنعوا وصنيعهم يعنى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عمله فى نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له . وسبيل النجاة والسلامة أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله بل ولك فى سلف الأمة أسوة وقدوة فقد كانوا وعلى الرغم من تقواهم وإخلاصهم يقول الواحد منهم : لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة لكان فرحى بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب وذلك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) . بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرض الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخالص وأهل النار الخالص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله .

(١) هود (١٥) .

(٢) المائدة (٢٧) .

(٢) الرياء

فطالب الشهرة يعمل ليراه الناس ويعظموه ويرى أنه لن يتحصل على الشهرة ولن يحافظ عليها إلا بالرياء والعمل لأجل المدح والجلالة في أعين الناس وهذا صنف خاسر كسابقه إذ لا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه فعن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » رواه مسلم . فالمرائي قصد بعمله الله تعالى وغيره وجعل الله شريكاً فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغني على الإطلاق والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه . وفي رواية ابن ماجه وغيره « فأنا منه برىء وهو للذي أشرك » كحال المنافقين في صلاتهم ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي يُرَأُّوْنَ النَّاسَ ﴾ (١) وكذلك وصف الله الكفار بالرياء في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ (٢) . فلا اعتداد ولا ثواب إلا لما خلصت فيه النية لله تعالى . والفرق بين الرياء والسمعة : أن الرياء هو العمل لرؤية الناس والسمعة العمل لأجل سماعهم . فالرياء يتعلق بحاسة البصر والسمعة بحاسة السمع ويدخل فيه أن يخفى عمله لله تعالى ثم يحدث به الناس وفي حديث شداد بن أوس مرفوعاً : « من صلى يرأى فقد أشرك ومن صام يرأى فقد أشرك ومن تصدق يرأى فقد أشرك وإن الله عز وجل يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بى . فمن أشرك بى شيئاً فإن جسده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به أنا منه غنى » رواه أحمد . وحديث الضحاك بن قيس مرفوعاً : « إن الله عز وجل يقول : « أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى » يأبىها الناس أخلصوا أعمالكم لله عز وجل فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منه شيء ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنه لوجوهكم وليس لله منه شيء » رواه البزار وابن مردويه والبيهقي بسند قال المنذرى : لا بأس به وحديث أبى أمامة الباهلى أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله : « لا شيء له » فأعادها

(٢) الأنفال (٤٧) .

(١) النساء (١٤٢) .

عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله : « لا شيء له » ثم قال : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد . أما لو خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجره للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يطل بالكلية . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم . وقال الإمام أحمد : التاجر والمستأجر والمكاري أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره . وقال أيضاً فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس . وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبري ورجحوا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروى عن الحسن البصري وغيره ويستدل لهذا القول بما أخرجه أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال : يا رسول الله إن بنى سلمة كلهم يقاتل فممنهم من يقاتل للدنيا وممنهم من يقاتل نجدة وممنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله قال : « كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هي العليا » وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنيته الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية .

فأما إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمد الناس عليه فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » رواه مسلم ، وروى مسلم في صحيحه حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار : المقاتل ليقال جرى والمتعلم ليقال عالم والمتصدق ليقال جواد . وعن أبي سعيد مرفوعاً ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى . قال : « الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر

رجل» رواه أحمد وابن ماجه والبيهقى وحسنه البوصيرى فى الزوائد .

قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وأنا بالله وبك وما لى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده « ١ . هـ . وضد الشرك الأكبر والأصغر التوحيد والإخلاص وهو إفراد الله بالعبادة باطنياً وظاهراً والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه ومعلوم أن حب الرياسة والجاه عند الناس هو الحامل له على الرياء قال الطيبى : وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه فى المحافل فأصابته النفس فى ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التى تعمى عن دركها العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة ١ . هـ . وكان حذيفة يتعوذ بالله من خشوع النفاق فلما قيل له وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يرى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع ، ولما رأى عمر شاباً قد طأطأ رأسه قال له يابن أخى ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب .

(٣) الكبر

والتكبر يحدث بالعلم والمال والجمال والحسب والنسب وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة وفى الحديث : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال

رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال : « إن الله جميل يحب الجمال . الكبير بطر الحق وغمط الناس » وطر الحق أى الاستنكاف عن قبوله ورده والنظر إليه بعين الاستصغار وذلك للترفع والتعظيم ومعنى غمط الناس : ازدراؤهم واحتقارهم . قال تعالى : ﴿ سَاصِرِفَ عَنْ ءَايَاتِى الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ ﴾ (٢) وقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (٣) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٤) وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه البخارى . وقال النبى ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً » رواه البخارى ومسلم وقال النبى يقول الله تعالى : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى » رواه مسلم بنحوه . وعيب على من خرج من مجرى البول مرتين أن يتكبر . وقال المأمون : ما تكبر أحد إلا لنقص وجده فى نفسه ولا تطاول إلا لو هن أحسن من نفسه وقيل من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاعل :

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته	انظر خلاك فإن النتن تريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهم	ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة	وهو بخمس من الأقدار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سمك	والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا ابن آدم ومأكول التراب غداً	أقصر فإنك مأكول ومشروب

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك . وروى عن عمر أنه نادى : الصلاة جامعة . فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأى يوم ؟ فقال عبد الرحمن

(٢) غافر (٣٥)

(٤) غافر (٦٠)

(١) الأعراف (١٤٦)

(٣) النحل (٢٣)

ابن عوف : والله يا أمير المؤمنين مازدت على أن قصرت بنفسك فقال عمر : ويحك يا ابن عوف إنني خلوت بنفسى فقالت : أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها نفسها . وجاء أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيوف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى السراج فأصلحه فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال : أفأنبه الغلام ؟ فقال : هي أول نومة نامها فقام وملاً المصباح زيتاً فقال الضيف : قمت أنت يا أمير المؤمنين فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . فمن طلب التواضع فليقتد به ﷺ فلقد كان أعظم خلق الله في الدنيا والدين . عن أنس أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : « يأيها الناس لا يستهونكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » . وعن ابن مسعود قال : أتى النبي رجل يكلم فأرعد (ارتعدت فرائضه) فقال له النبي ﷺ : « هون عليك فلست بملك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد » . وسأل عمر رجلاً فقال له من سيد قومك ؟ فقال أنا : قال له عمر كذبت لو كان كذلك لم تقله . وقال الشافعي : أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله . وقال الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة الرجل قدره . ولما قيل للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله : أنت أكبر أم رسول الله قال : هو أكبر منى وأنا أسن منه (وكان أكبر سنأ من رسول الله ﷺ) وقيل لأبي وائل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم قال : أنا أكبر منه سنأ وهو أكبر منى عقلاً ، قيل لعبد الله بن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبر على المتكبرين ، وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن ذروة وأنصف عن قوة . وكانوا يقولون : لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإن ظن أنه قد علم فقد جهل . وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله .

(٤) العجب والغرور

فالتفرد والامتياز قد يصيب الإنسان بحالة من حالات العجب والغرور وهذه من جملة الآفات المهلكات قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تغن عنكم

شيئاً ﴿١﴾ وقال النبي ﷺ « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا والسخط والقصد في الغنى والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه وهى أشدهن » رواه البيهقي وهو حسن لطرقه كما قال الألبانى . وقال النبي ﷺ : « بينما رجل يتبختر فى بردين وقد أعجبه نفسه خسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » ولذلك قال تعالى : ﴿ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (٢) والمن وليد العجب وهذا واضح من قول قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ (٣) ومن قول صاحب الجنتين ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ (٤) وقال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٥) وقال ﷺ « إن الله أذهب عنكم غيبة الجاهلية - أى عجبها وكبرها - كلكم لآدم وآدم من تراب » رواه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة وحسنه الألبانى . وقال فى خطبة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى اللهم بلغيت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وقال تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ (٦) ﴿٧﴾ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴿٨﴾ وقال سبحانه ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه . وقال النبي ﷺ : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب العجب . ولما قيل لعائشة رضى الله عنها « متى يكون الرجل سيئاً . قالت : إذا ظن أنه محسن . وقال على أصعب ما على الإنسان معرفة نفسه . إذا أعجب الإنسان بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنبه فقد استحكمت هلكته وقيل لعامر بن مرة الزهرى : من أحق الناس ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس . وقيل

(٢) البقرة (٢٦٤) .

(٤) الكهف (٣٤) .

(٢) الإسراء (٣٧) .

(١) النجم (٣٢) .

(٣) القصص (٧٨) .

(٢) الحجرات : (١٣) .

لحمسة بن رافع : من أحق الناس بالمقت ؟ قال الفقير المحتال والضعيف الصوال والغنى القول . وقال النبي ﷺ « ما منكم من أحد ينجيهِ عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولأنا إلا أن يتغمدني الله برحمته » متفق عليه . وحكى أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي بالخيلاء فقال يا أبا عبد الله : ما هذه المثنية التي يبعثها الله ورسوله فقال المهلب : أما تعرفني ؟ فقال بلى أعرفك : أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة . فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال :

عجبت من معجب بصورته	*	وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غد بعد حسن صورته	*	يصير في اللحد جيفة قدرة
وهو على تيهه ونخوته	*	ما بين ثوبيه يحمل العذرة

ومن أقوى أسباب الإعجاب كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً والتملق خديعة وملعباً .

﴿ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر ﴾^(١) .

قال القرطبي « أى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر . وقيل ألهاكم أنساكم التكاثر أى من الأموال والأولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة : أى التفاخر بالقبائل والعشائر وقال الضحاك أى ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة . وقال مقاتل و قتادة وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً . وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش : بنى عبد مناف وبنى سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام فقال كل حى منهم نحن أكثر سيدياً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عائداً فكثر بنو عبد مناف سهماً ثم تكاثروا بالأموال فكثرتهم سهم فنزلت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ بأحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالأموال . وعن قتادة قال : كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان ونحن أعد من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم . قال

القرطبي قلت الآية تعم جميع ما ذكر وغيره وفي صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال : « يقول ابن آدم : مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفانيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أما ما سوى ذلك فذهاب وتاركة للناس . وروى البخارى عن ابن شهاب أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » قال ثابت عن أنس عن أبي : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال ابن العربى : وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهلوا . والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرأ النبي ﷺ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قال تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها فى الأوعية ا . ه . وعن أبي مالك الأشعرى أن رسول الله قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركوهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » رواه مسلم . والفخر بالأحساب أى التشرف بالآباء والتعظيم بعد مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم وذلك جهل عظيم إذ لا شرف إلا بالتقوى كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ (١) وقال تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٢) فالناس مؤمن تقى أو فاجر شقى وكلهم لآدم وآدم من تراب قال رسول الله « ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها التتن » رواه أبو دواد عن أبي هريرة مرفوعاً .

(٥) الحسد

فحب الرياسة وطلب الجاه من أعظم أسباب الحسد وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظر فى فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له فى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة

(١) سبأ (٣٧) .

(٢) الحجرات (١٣) .

أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرسول ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم وجاههم رغم أن البشارة به موجودة في كتبهم التي بين أيديهم ويتعبدون بقراءتها . والحسد من أعظم المهلكات وهو كبيرة من الكبائر وفي الحديث « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس » متفق عليه وفي حديث أبي كبشة الأنماري قال « مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لي مالا مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما في الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالا فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكنت أنفقه في مثل ما أنفقه فيه من المعاصي فهما في الوزر سواء » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح والفارق كبير بين الغبطة والحسد فالغبطة ليس فيها تمنى زوال النعمة ولا كراهتها وترجع إلى إرادة المساواة والحق به في النعمة وليكن معلوماً أن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى الإنسان لم يشغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع . فالكمال محبوب ولذيذ وكل ما يدل عليه ويؤكد قد تتطلع إليه النفوس ولذلك فالنفس تحب المدح والثناء وترتاح به وتنفر من الذم وتبغضه ولذلك عرف أبو حازم الزهد بقوله « أن يكون مادحك وذامك في الحق سواء وأن يكون حالك في المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يد نفسك » .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى « ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه كما جرى لزينب بنت جحش - رضى الله عنها - فإنها كانت هي التي تسامى عائشة من أزواج النبي ﷺ - وحسد النساء بعضهن لبعض غالب لا سيما المتزوجات بزواج واحد فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر ويكون بين النظراء لكرهية أحدهما أن يفضل الآخر

عليه كحسد إخوة يوسف وكحسد ابني آدم أحدهما لأخيه فإنه حسده لكون الله تقبل قربانه ولم يتقبل قربان هذا . فحسده على ما فضله الله من الإيمان والتقوى - كحسد اليهود للمسلمين وقتله على ذلك ولهذا قيل أول ذنب عصى الله به ثلاثة الحرص والكبر والحسد فالحرص من آدم والكبر من إبليس والحسد من قابيل حيث قتل هابيل . وفي الحديث « ثلاث لا ينجو منهن أحد : الحسد والظن والطيرة وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض » رواه ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة .

تقديم المفضل على الفاضل بسبب الشهرة

التقديم والتأخير يجب أن يكون وفق الموازين الشرعية التي جاءت في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ ولا تصلح الشهرة وحدها ضابطاً لذلك والإخلال بهذا المعنى يترتب عليه كثير من المخالفات الشرعية منها محبة ذوى الفسق والفجور وتقديمهم لشهرتهم على ذوى الصلاح والتقوى من المغمورين فنجد البعض يتباهى برؤية بعض المغنين أو الراقصين أو الممثلين أو سماعهم أو حفظ سيرتهم وأخبارهم بينما هو لا يعبأ بعلماء الأمة وصالحيه بل ولم يحفظ شيئاً من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ فلا هو يعرف كيف يوحد ربه ولا كيف يصلى وما الذى تصح به الصلاة وما الذى تبطل به . والأمر لا يقتصر على ذلك فالبعض يقدم المقبورين كالسيد البدوي بشهرتهم على صحابة النبي ﷺ وذلك فى الحب والتعظيم ومعلوم أن كل صحابى أفضل من كل من جاء بعده . ويحدث هذا التقديم المغلوط أيضاً فى الإمامة وطلب العلم فيترك الناس الأخذ ممن كملت أهليته ويذهبون للمشاهير حتى وإن كانوا مفضولين أو على بدعة يقول الماوردى فى كتابه أدب الدنيا والدين « وليأخذ المتعلم حظه فمن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء إذا كان النفع بغيرهم أعم إلا أن يستوى النفعان فيكون الأخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر وقد قال الشاعر :

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد * لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله

وإن صانك العلم الذى قد حملته * أتاك من يجتنيه ويحمله

أى صانك غن المطامع الدنية والوقوف فى مواقف الريب .

وهكذا فأنت ترى أن الشهرة تقتضى تصرفات غير مشروعة أحياناً وتجعل الإنسان يقصر فى الخير إذا لم يتحقق له ما يريد وقد يؤدى التنافس عليها إلى أنواع من الشرور والخصومات عدا عن كونه قد يؤثر فى أصل النية فيحبط العمل وقد تفضى الشهرة بالناس إلى تقديس المشهورين وتقليدهم تقليداً أعمى وبالتالي فلا بد من وقفة تحاسب فيها نفسك وتجردها لله عز وجل .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

وزنوا أعمالكم قبل أن توزن وتهيئوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فحرى بك أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وأن تحاسب نفسك هذه المحاسبة فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه زاد عطشاً حتى يقتله ولو فكر الطامع فى عاقبة الدنيا لقنع ولتذكر الجائع فضول مآلها لشبع فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم ومن الوجود إلى العدم وكان ميمون ابن مهران يقول « يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا ابيض قالوا الحصاد فنظر إلى الشباب فقال إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد وقبيح بالشباب تأخير التوبة وأقبح منه تأخير الشيوخ فخذ من صحتك لمرضك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك وكن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وقل لنفسك :

ألا يا نفس ويحك ساعدينى .. بسعى منك فى ظلم الليالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى .. بطيب العيش فى تلك العلالى

وتحسس قلبك . فالقلب ملك مؤمر وقد قال النبى ﷺ : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله » رواه البخارى ومسلم .

ولا يسلم من عذاب الله إلا من أتى ربه بقلب سليم ﴿١﴾ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٢﴾ واحذر أن تكون من أصحاب القلوب الميتة فصاحب هذا القلب يتبع كل شيطان مريد الدنيا تسخطه وترضيه إن أحب أحب لهواه وإن أبغض أبغض لهواه وإن منع منع لهواه فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه واقف مع شهواته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فيه من محبة الشهوات وإثارها والحرص على تحصيلها والحسد والعجب والكبر وحب العلو والفساد فى الأرض والرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه . فإن تنج من هذه الآفات تنج من ذى عظيمة وقد قال النبى ﷺ « تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصر عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مبراد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض لاتضره فتنة مادامت السماوات والأرض » رواه مسلم وعن أبى سعيد مرفوعاً « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تدمهم على ما لم يؤتكم الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره (ضعيف ومعناه صحيح) وقامه » وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط . فمن قوى يقينه علم أن الله وحده هو النافع الضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لسواه من الأمر شىء كائنا ما كان فلا يهاب أحداً ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (١) (وإن تحمدهم على رزق الله) لا ينافى ذلك حديث « من لا يشكر الناس لا يشكر الله » لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان فى صحيحه « قال ابن رجب » فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشىء عجاب . وما

(١) الأحزاب (٣٩) .

أحسن ما قيل :

إذا صح منك الود يا غاية المنى .. فكل الذى فوق التراب تراب

وفى الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضى الله وأن العقوبة قد تكون فى الدين عياداً بالله من ذلك فإن المصيبة فى الدين أعظم من المصيبة فى الأموال والأبدان وفيه شدة الخوف على عقوبات الذنوب لاسيما فى الدين فإن كثيراً من الناس يفعل المعاصى ويستتهن بها ولا يرى أثراً لعقوبتها ولا يدري المسكين بم أصيب فقد تكون عقوبته فى قلبه كما قال تعالى ﴿ فَأَعْقِبْهُمْ نَفَاقاً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . واعلم أن الناقد بصير والعقبة كثود والحمل ثقيل والسفر طويل فخفف ظهرك من المعاصى والأوزار . روى عن على رضى الله عنه أنه قال : ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه فرفع الناس رؤوسهم تعجباً فقال ﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ ^(١) وفى خطاب ينصح فيه ابنه الحسن قال : يا بنى اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب إليك من طلب ما فى يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق فبئس الطعام الحرام وجد فى الحصول على معاشك » وكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص يقول : إن الله إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك . فأعط كل ذى حق حقه وإذا عرفت فالزم فليس لك إلا أن تتابع صراط الله المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وهؤلاء لم يبحثوا عن شهرة زائفة كاذبة وإنما أخلصوا العبودية لله فى أقوالهم وأفعالهم

(١) الإسراء (٧) .

فرفع ربنا ذكرهم وأعلى أثرهم وجعل العاقبة لهم فازدادوا تواضعاً لربهم ومعرفة بحقه وشكراً لفضله - وإياك أن تكون ممن يتابع السبل المعوجة طلباً لشهرة الندامة والحسرة فتبيع دينك بدنيا غيرك ويغرك بالله الغرور وتكون قد أخذتها من حرام ووضعتها في حرام وتمتلىء نفسك بعد ذلك غروراً وكبراً ورياءً وعجباً ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ واتبِعُوا أَحْسَنَ مَا نُزِّلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١) وتذكر حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمك بأنك بعث كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم تبع ذلك إلا بشهوات حقيرة في الدنيا أياماً قصيرة ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا تَرْجِعُونَ﴾ وعن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه : ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتئت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال : رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر (رواه مسلم .

موعظة وتذكيرة

اعلم يا مسكين أنك على القرب لا محالة مرتحل وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وأكثر من ذكر الموت فإنك لا تكون في ضيق من أمرك ومعيشتك فتذكر الموت إلا اتسع ذلك عليك ولا تكون في سرور من أمرك وغبطة فتذكر الموت إلا ضيق ذلك عليك

(١) الزمر (٥٤ - ٥٨) .

فإن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويننون شديداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه ولو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ثلاث أضحككنى حتى أبكتنى « طالب دنيا والموت يطلبه وضاحك ملء فيه ولا يدري أأرضى ربه أم أسخطه وغافل ليس بمغفول عنه » وتفكر وتأمل فيما ستصير إليه فعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال « قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ترى ما صنعت بهم الديدان ؟ مبحث الألوان وغفرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء ، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء أليس هم فى مدلهمة ظلماء ؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية قد سالت الحدق على الوجنات وامتألت الأفواه دماً وصديداً ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميمات ، قد فارقوا الحقائق فصاروا بعد السعة إلى المضائق ثم راح ينادى « يا ساكن القب غداً ما الذى غرك من الدنيا ؟ أين دارك الفيحاء ؟ وأين رفاق ثيابك ؟ ليت شعرى ، كيف ستصبر على خشونة الثرى وبأى خديك يبدأ البلى ؟ ثم يأتى الحسن البصرى ينادى « المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم أنكم أصبحتم فى أجل منقوص والعمل محفوظ والموت والله فى رقابكم والنار بين أيديكم فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة لقد فضح الموت فلم يترك لذى لب فرحاً وإن أمراً هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وإن أمراً هذا الموت أوله لحقيق أن يخاف آخره إنك والله وأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف . وينكشف للإنسان بالموت ما لم يكن مكشوفاً له فى الحياة والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها وعند ذلك يقال له ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (١) فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والحجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر

(١) الإسراء : (١٤) .

به بل عند موته نعوذ بالله منه فإن الحزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبعث من قلبك دواعي الاستعداد لها وكما قالوا من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع . ويكفى أن تنظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان ورائها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها يساقون إليه زمراً فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الأولى والرادفة هي النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة . قال رسول الله ﷺ « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها معلم لأحد » متفق عليه . قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾ (١) فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبيناهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رعوسهم وانشقت مع غلظها والملائكة قيام على حافات وأرجائها فيا هيبة ليوم تنشق فيه السماء فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبيثوث وهم حفاة عراة مشاة قد أجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان حتى قالت السيدة عائشة واسوأته ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال النبي ﷺ شغل الناس عن ذلك بهم ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (٢) فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والاتفات . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه

(١) إبراهيم : (٤٨) .

(٢) عبس (٣٧) .

قال رسول الله ﷺ « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبنا ومشاة وعلى وجوههم » فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال « الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم » رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة . فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة . وما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدراً خمسين ألف سنة لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحتترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم فقال كل نبي نفسى نفسى و قال كل واحد قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً . فتأمل فى طول هذا اليوم وشدة الإنتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر والمؤمن له شأن آخر يوم القيامة قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصلّيها فى الدنيا » ثم توهّم نفسك وقد أخذت الملائكة بعصديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاهاً فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ؟ ففيماذا أبليت ؟ ألم أمهل لك فى العمر ؟ ففيماذا أفنيته ؟ ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته ؟ وفيماذا أنفقت ؟ ألم أكرمك بالعلم ؟ فماذا عملت فيما علمت ؟ فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك قال أنس رضى الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال « أتدرون مم أضحك ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال « من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإننى

لا أجزى على نفسى إلا شاهداً منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام
الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لأركانہ انطقى قال فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه
وبين الكلام فيقول لأعضائه بعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » رواه مسلم فعوذ
بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء . إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن
يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له : كيف سمعت رسول الله
ﷺ يقول فى النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه
عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني
سترتها عليك فى الدنيا وإني أغفرها لك اليوم » رواه مسلم . ثم تفكر فى عظم حيائك إذا
ذكرت ذنوبك شفاهاً إذ يقول يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من
خلقى فأظهرت لهم الجميل ؟ أكنت أهون عليك من سائر عبادى ؟ أستخففت بنظرى
إليك فلم تكثر واستعظمت نظر غيرى ألم أنعم عليك ؟ فماذا غرك بى ؟ أظننت أنى لا
أراك وأنت لا تلقانى ؟ قال رسول الله ﷺ « ليقفن أحدكم بين يدى الله عز وجل ليس
بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك ما لا ؟ فيقول بلى فيقول ألم أرسل
إليك رسولاً ؟ فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر إلى شماله فلا يرى
إلا النار فليتنق أحدكم النار ولوبشق تمره فإن لم يجد فبكلمة طيبة » .

ثم يأبى الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على
الانقضاء والزوال دع الفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك
أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (١) فأنت من البرود على يقين
ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل
فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا فينما هم فى كربها وأهوالها وقوفاً
ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيق شفعاؤها إذ أحاطت بالجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت
عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند
ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجئت الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء المنقلب
(١) مريم (٧١) .

وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ (١) فاسكنوا داراً يوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيتهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شددت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كَثُرُونَ ﴾ (٢) ويقال لهم : ﴿ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا ﴾ (٣) ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار تحيط بهم من كل جانب . قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » متفق عليه وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معاشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » رواه الترمذى وقال حسن صحيح . وقال النبى ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » رواه مسلم . فسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « ينادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحبوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤) فشمر عن ساعد الجد وإذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة وإن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل . ولا أظنك بعد ذلك ستطلب ظهوراً بالباطل أو ستشتري شهرة زائفة كاذبة على حساب دينك ثم احذر أن توالى أو تحب من كفر بالله حتى وإن كان مشهوراً وذلك لأن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله واحرص على طاعة ربك والبعد عن كل ما يغضبه سبحانه

(١) الدخان (٤٩) .

(٢) الزخرف (٧٧) .

(٣) المؤمنون (١٠٨) .

(٤) الأعراف (٤٣) .

تفر بسعادة الدارين قل : ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ (١).

حياة العبودية لهم خير لو كانوا يعلمون

وقد فقه ذلك فريق من الناس فسعد ، وانتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام ، علموا أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢) وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٥) وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال : ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٦) وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ (٧) وذم المستكبرين عن عبادته بقوله : ﴿وَقَالَ رَبِّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٨) ووصف بها صفوة خلقه فقال : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (٩) وقال : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ (١٠) ولما قال الشيطان : ﴿رَبِّ بِمَا اغْوَيْتَنِي لِأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا غَوِيَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١١) قال الله تعالى : ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ (١٢) وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا أَنْ

(١) طه (٨٤).

(٢) الذاريات (٥٦).

(٣) الأنعام (٥٩).

(٤) الحجر (٩٩).

(٥) الأنبياء (١٩).

(٦) الفرقان (٦٣).

(٧) الحجر (٤١ - ٤٢).

(٨) الأنبياء (٢٥).

(٩) الأنبياء (١٩).

(١٠) الإنسان (٦).

(١١) الحجر (٣٩ - ٤٠).

(١٢) الحجر (١٢).

دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ أَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فَرْدًا ﴿١﴾ وقال تعالى عن المسيح الذي ادعت فيه الإلهية والنبوة : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ
أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿٢﴾ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح :
« لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »
وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا ﴾ ﴿٣﴾ وقال : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾ ﴿٤﴾ وقال في الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ
عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يُكَذِّبُونَّ عَلَيْهِ لَبَدًا ﴾ ﴿٥﴾ وقال في التحدى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي
رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾ ﴿٦﴾ فالدين كله داخل في العبادة وقد
ثبت في الصحيح أن جبريل لما جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام :
قال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم
رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال : فما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : فما
الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » - ثم قال في آخر
الحديث : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » فجعل هذا كله من الدين . والعبادة
المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب . فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ومن
خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً
له كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل
يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء وأن يكون الله أعظم عنده من كل
شيء بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبه فاسدة وما
عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

(٢) الزخرف (٥٩) .

(١) مريم (٨٨.... ٩٥) .

(٤) النجم (١٠) .

(٣) الإسراء (٤) .

(٦) البقرة (٢٣) .

(٥) الجن (١٩) .

تَرْضُونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١﴾ وإذا كانت العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله
ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فلا يليق بك أن تجزىء أو أن تبعض هذا
المفهوم وعليك أن تقيس أقوالك وأفعالك ومشاعرك وأحاسيسك بهذا الميزان . والعبادة
التي نتقرب بها لله تعالى لكى تكون مقبولة فلا بد فيها من نية وصحة أو إخلاص
ومتابعة . كما لا بد وأن تشتمل على الحب والخوف والرجاء ، ولأهمية هذه المعانى
وشدة تعلقها بأمر الشهرة نفرد كلا منها بكلمة مختصرة سريعة .

الإخلاص

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ (٢) وقال
سبحانه : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٤)
قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ فقال :
إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم
يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ثم
قرأ قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا ﴾ . ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٥) وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال
أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا شيء له »
فأعادها ثلاث مرار ويقول رسول الله ﷺ : « لا شيء له » ثم قال : « إن الله لا يقبل من
العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبو دود والنسائي بإسناد جيد . وفى
الحديث : « ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مؤمن ؛ إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة
المسلمين ولزوم جماعتهم » رواه البزار بإسناد حسن . فاحذر أن تكون ممن قال الله

(٣) الكهف (١١٠) .

(٢) البينة (٥) .

(١) التوبة (٢٤) .

(٥) ص (٨٣) .

(٤) الملك (٢) .

فيهم : ﴿ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَالَهُمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا ﴾ (١)
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (٢) ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ (٣)

وكان البعض يقول : إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز ولذلك كان ابن
عمر رضى الله عنهما يقول : لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة لكان فرحى بالموت أشد
من فرح الأهل بقدوم الغائب وذلك لأن الله يقول : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٤) ولما
قيل للإمام سهل : أى شئ أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب
فالنفس تحب الظهور والشهرة والمدح والرياسة ولذلك كان أشد شئ على النفس
إخلاص النية لله عز وجل . قال أيوب تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع
الأعمال . وإذا كان الإخلاص شرط قبول العبادة فعليك بإفراد الله عز وجل بالقصد فى
الطاعات وجرد هذا القصد عن جميع الشوائب واعلم أن الخلق جميعاً لا يملكون
لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فضلاً عن أن يملكوا ذلك لك أنت
والجنة والنار بيد الله سبحانه لا بيد أحد سواه فأخلص عملك لله وليكن عملك هنا
ونظرك فى السماء واطرح المخلوقين من حساباتك وذلك لأن ترك العمل من أجل الناس
رياء والعمل من أجل الناس شرك . والإخلاص أن يعافيك الله منهما وكان عمر بن
الخطاب يقول : اللهم اجعل عملى كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه
شيئاً . فاجعل حساباتك حسابات أخروية ولك فى أنبياء الله ورسله أسوة وقودة قال
تعالى : ﴿ وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ إِنَّا
أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةِ ذِكْرَى الدَّارِ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (٥) وقال فى
حق يوسف : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٦)
وقال : ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٧) وفى المسند عن ابن
عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبدوا الله وحده لا
شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » .

(٣) الفرقان (٢٣) .

(٢) الكهف (١٠٣) .

(١) الزمر (٤٨) .

(٦) يوسف (٢٤) .

(٥) ص (٤٥-٤٦) .

(٤) المائدة (٢٧) .

(٧) الصفات (١٥٩-١٦٠) .

الاتباع

فالتوحيد توحيدان توحيد المرسل جل وعلا وتوحيد متابعة الرسول ﷺ والاتباع هو الشرط الثانى لقبول العمل وهو الجزء الثانى من كلمة الشهادة التى يدخل بها العباد فى الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ ولذلك قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ (٣) حكى الشافعى إجماع الصحابة فمن بعدهم على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أيا كان . ثم السنة تشمل أحكام الشرع التكليفية من واجب ومندوب ومباح لا كما يتوهم البعض أنها قاصرة على المستحبات بل هى تشمل أيضاً المسائل الاعتقادية ولذلك أطلقوا وصف أهل السنة والجماعة على من كان على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام تمييزاً لهم عن أهل البدعة والافتراق قال تعالى ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : تبيضُ وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق . وقالوا أهل السنة هم الذين يعرفون ما يدخلونه فى بطونهم . وطاعة النبى ﷺ واجبة وهى تارة تأتى مفردة مستقلة وتارة أخرى ترد مقرونة بطاعة الله والسنة لها شأن مع القرآن فهى تأتى مطابقة لما فى القرآن وتارة أخرى تخصص العام أو تقييد المطلق أو تفصل المجمل وقد تأتى بأحكام غير موجودة فى القرآن وكل ذلك وحى من عند الله والنبى ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (٤) ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٥) ﴿ يَأَيُّهَا

(١) آل عمران (١٠٦) .

(٢) آل عمران (٣١) .

(٣) النساء (٦٥) .

(٤) الأحزاب (٣٦) .

(٥) النور : (٥٤) .

(٦) الحشر : (٧) .

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١﴾

والشرع مبنى على الكتاب والسنة ولذلك قال رسول الله ﷺ : « ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » وفعل النبي ﷺ سنة وتركه أيضاً سنة طالما وجد المقتضى وانتفى المانع مثل ترك الأذان لصلاة العيدين وترك قراءة القرآن على الموتى فهذا الترك يعد سنة وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاتباع ونهانا عن الابتداع فقال : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وفى حديث العرباض بن سارية : « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وكان ﷺ يقول فى خطبته : « إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم وعن سفيان قال : لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة وقال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء وعن ابن شاذب قال : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها قال شيخ الإسلام ابن تيمية « وإنما ينجو العبد منها (أى من الأمور التى تعرض لأهل السلوك والتوجه) بملازمة أمر الله الذى بعث به رسوله فى كل وقت كما قال الزهرى : كان من مضى من سلفنا يقولون : (الاعتصام بالسنة نجاة) وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء : مقصودها واحد ولها أصلان . أحدهما : أن لا يعبد إلا الله والثانى : أن لا يعبد إلا بما أمر وشرع لا يعبد بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع . قال تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ

(٢) البقرة (١١٢)

(١) النساء (٥٩)

ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١﴾ وقال تعالى : ﴿٢﴾ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴿٣﴾ واتخذ الله إبراهيم خليلاً فالعمل الصالح : هو الإحسان وهو فعل الحسنات . والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل : ليست مشروعة أ . هـ ونحن في هذا المنهج لا نحترق طاعة من الطاعات حتى وإن كانت مستحبة قال تعالى : ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴿٥﴾ والمتهاون في المستحبات يوشك أن يتهاون في الواجبات وإن كنا لا نجعل الواجب كالمستحب كذلك يجب علينا أن نحذر هؤلاء الذين يتركون السنة بزعم الاكتفاء بالقرآن ويطلقون على أنفسهم وصف القرآنيين ولو فهموا القرآن لعلموا وجوب متابعة السنة قال تعالى : ﴿٦﴾ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿٧﴾ وقال النبي ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » أى السنة . كما نحذر أيضاً هؤلاء الذين يستهزئون ويستخفون بسنة رسول الله ﷺ أو ينتقصون أهلها قال تعالى : ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿٩﴾ وجعل سبحانه من محبطات الأعمال رفع الصوت بحضرة رسول الله ﷺ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ولا شك أن هذا الذم يلحق من رفع صوته بالاستهزاء والاستخفاف على سنة النبي ﷺ من بعده ويكفى هنا أن ننقل ما قاله الإمام مالك فقد آتاه رجل فقال له : من أين أحرم ؟ قال له الإمام : من حيث أحرم رسول الله ﷺ . فقال له الرجل فإني أريد أن أحرم من أبعد منه فقال له الإمام : فلا تفعل ، قال : ولما ؟ قال أخاف عليك الفتنة قال الرجل : وأى فتنة في ازدياد الخير ؟ فقال له الإمام : ﴿١٢﴾ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴿١٣﴾ .

(٣) النساء (١٢٥) .

(٢) النور (٦٣) .

(١) البقرة (٢٠٨) .

(٥) النور (٦٣) .

(٤) الحجرات (٢) .

محبة الله تعالى

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَمْنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (١) وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ﴾ وعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار متفق عليه . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : سلوه لأى شىء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يحبه » متفق عليه . والإله هو الذى تأله القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل له والخضوع والعبادة لا تصلح إلا له وحده سبحانه وهى عبارة عن كمال الحب مع كمال الخضوع والذل ، والرب تعالى يحب لذاته من جميع الوجوه وماسواه فإنما يحب تبعاً لمحبهته وهو سبحانه يتحبب إلينا بالنعم رغم غناه عنا ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ فخيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد فهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، يقبل العثرات ويكشف الكربات ويغث اللهفات ويغفر الخطيئات ويستر العورات . يرحم عبده حيث لا يرحم نفسه ويستر عبده حيث لا يستر نفسه ويستحى من عبده حيث لا يستحى العبد منه فهو سبحانه أحق من ذكر وأحق من شكر وأحق من عبد وأرأف من ملك وأكرم من قصد وأعز من التجئ إليه وأكفى من توكل عليه ، أخذ بالنواصى وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب لديه مكشوف وكل أحد إليه ملهوف ، عنت الوجوه لنور وجهه ودلت الفطر على امتناع مثله وشبهه ، يطاع فيشكر ويعصى فيغفر فهو أقرب شهيد وأجل حفيظ وأوفى بالعهد وأعدل قائم بالقسط ﴿ ولله الأسماء

(٢) المائدة (٥٤)

(١) البقرة (١٦٥)

الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ﴿ فكل مامنه إلى عبده يدعوه إلى محبته سبحانه ، خلقت لنفسه وخلق كل شىء لك فى الدنيا فلا تشغل بما خلق لك عما خلقت أنت من أجله . وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول والجهاد فى سبيله وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد فى حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح وفى دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان وقد قال تعالى : ﴿ قل إن كان أبائكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ إلى قوله : ﴿ حتى يأتى الله بأمره ﴾ (١) .

فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد فى سبيله بهذا الوعيد الشديد بل قد ثبت عنه ﷺ فى الصحيح أنه قال : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وفى الصحيح أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله والله لأنت أحب إلى من كل شىء إلا من نفسى فقال : لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال : فوالله لأنت أحب إلى من نفسى فقال : « الآن ياعمر » فحقيقة المحبة : لا تتم إلا بموالاته المحبوب وهو موافقته فى حب ما يحب وبغض ما يبغض والله يحب الإيمان والتقوى ويبغض الكفر والفسوق والعصيان . بل محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب فإذا أحب الأنبياء وأولياء الله لأجل قيامهم بمحوبات الحق لا لشىء آخر فقد أحبه لله لا لغيره وقد قال تعالى : ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعززة على الكافرين ﴾ (٢) ومعلوم أن المحوبات لاتنال غالبا إلا باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم فى الدنيا مع ما يصيبهم من الضرر بالمال نفسه فى الدنيا والآخرة فالحب لله ورسوله إذا لم يحتتمل ما يرى من تحمل المحبين لغير الله ما يحتملون فى سبيل حصول محبوبهم دل ذلك على ضعف محبته لله إذ كان ما يسلكه أولئك فى نظرهم هو الطريق الذى يشير به العقل ومن المعلوم أن المؤمن أشد حبا لله كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (٣) والعبد لن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا

(١) التوبة (٢٤) .

(٢) المائدة : (٥٤)

(٣) البقرة (١٦٥) .

بإخلاص الحب لله بحيث يكون الله هو غاية مراده ونهاية مقصوده وهو المحبوب له بالقصد الأول وكل ماسواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئاً لذاته إلا الله ومتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة « لا إله إلا الله » ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله . فمتى كان يحب غير الله لذاته أو يلتفت إلى غير الله أنه يعينه كان عبداً لما أحبه وعبداً لما رجاه بحسب حبه له ورجائه إياه والخلة : هى كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه وهى لا تحتل الشراكة بخلاف أصل الحب فإنه ﷺ قد قال فى الحديث الصحيح فى الحسن وأسامة : « اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » وسأله عمرو بن العاص : أى النساء أحب اليك ؟ فقال عائشة . قال فمن الرجال ؟ قال أبوها » وقال لعلى رضى الله عنه : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . والخلة ثابتة لرسول ﷺ فهو خليل الله . والخلة ليس لغير الله فيها نصيب ولذلك قال النبى ﷺ : « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً » ومن هذا يعلم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة ، ومحبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم وأكمل هذه الأمة فى ذلك هم أصحاب محمد ﷺ .

ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعى محبة الله وليس له حظ إلا اتباع البدع ، ولا يمكن أن يكون العبد محباً لله والله تعالى غير محب له بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له وإن كان جزاء الله لعبده أعظم يقول ابن تيمية : وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان فى القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهى باطلة وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل كما أن كل عمل لا يكون على الصحيح الصريح من هدى رسول الله فهو باطل فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع . أهـ راجع كتاب العبودية يقول

« وإذا كان العبد مخلصا لله اجتباؤه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فإنه فى طلب وإرادة وحب مطلق فيهوئ كل ما يسنح له ويتشبت بما يهواه كالغصن أى نسيم مر به عطفه وأماله فتاره تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هو عبدا لكان ذلك عيبا ونقصا وذمّا ، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثنى عليه ولو بالباطل ويعادى من يذمه ولو بالحق . وتارة يستعبدهم الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التى تستعبد القلوب والقلوب تهواها فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله ومن لم يكن محبا خالصا لله عبدا له قد صار قلبه معبدا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون أحب إليه من كل ماسواه ويكون ذليلا له خاضعا وإلا استعبده الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين إخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله وهذا أمر ضرورى لا حيلة فيه أ.هـ .

الخوف من الله

كلما قويت معرفة العبد بنفسه وبربه كلما ازداد خشية ورهبة من الله تعالى ولذلك قال النبى ﷺ : « أنا أخوفكم لله » رواه البخارى وعند البخارى ومسلم من حديث عائشة والله إنى لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ولما قيل للإمام الشعبى يا عالم قال إنما العالم من يخشى الله ﴿ إنما يخش الله من عباده العلماء ﴾ إذ قد علم أن الله سبحانه وتعالى لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ فيحسب معرفة الإنسان بعبود نفسه ونقصها وتقصيرها ومعرفة بجلال الله تعالى واستغنائها وأنه لا يسأل عما يفعل يكون خوفه وهذا الخوف عندما يتمكن من القلب تظهر آثاره على الجوارح . قال ابن مسعود رضى الله عنه : كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز جهلا ، وهناك خوف قاصر يدعو العبد لمواقعة الفواحش والمعاصى والإفراط فى الخوف قد يجر إلى اليأس والقنوط من رحمة الله والاعتدال فيه مطلوب ومحمود وبمقتضاه يسارع العبد فى طاعة ربه ويتباعد بنفسه عن

كل ما يغضب الله تعالى . قال الفضيل : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت . وقيل ليس الخائف من يبكى ثم يمسخ دموعه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه وقال بعضهم من خاف شيئاً هرب منه ومن خاف الله هرب إليه وقد وردت أخبار كثيرة في فضل الخوف من الله منها قوله تعالى ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ وقوله تعالى ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (١) .

وجمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم قال تعالى ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (٢) بل وأمر به سبحانه وجعله شرطاً في الإيمان فقال سبحانه ﴿ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وكلمة قوى إيمانه قوى خوفه وشدة الرهبة والخشية علامة على قوة الإيمان . والمؤمن لا ينبغي أن يخاف أحداً إلا الله فالنفع والضرر بيد الله والأرض والسموات ملك له سبحانه . وقد تتمهد أسباب الخوف من سبع أو نحوه ومثل هذا لا يذم قال تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ (٤) وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد قتل رجلاً من شيعة فرعون وقال تعالى حاكياً عن أهل الجنة ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (٥) وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يَشْرَكُونَ وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ (٦) وقال النبي ﷺ : قال الله عز وجل : « وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي آمنين ولا خوفين إن أمنتني في الدنيا أخففته يوم أجمع عبادي وإن خافني في الدنيا أمنتني يوم أجمع عبادي » رواه أبو نعيم وسنده حسن وقال النبي ﷺ سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم : « رجلاً ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » رواه البخاري ومسلم . وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « عيان لا تمسهما النار عين بكت من

(٢) الأعراف (١٥٤) .

(١) البينة (٨) .

(٤) طه (٤٥) .

(٣) آل عمران (١٧٥) .

(٦) المؤمنون (٥٧-٦١) .

(٥) الطور (٢٥-٢٨) .

خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله » رواه الضياء وغيره وسنده صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « كان رجل يسرف على نفسه لما حضره الموت قال لبنيه لئن قدر الله على ليعذبني عذابا ماعذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال اجمعي ما فيك ففعلت فإذا هو قائم فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال خشيتك يا رب أو قال مخافتك فغفر له » متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة . والدلجة هي السير أول الليل والخائف بحق هو الذي يبادر إلى الأعمال الصالحة . ومن تأمل حالة النبي ﷺ وصحابته الكرام وجدهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع شدة الاجتهاد في طاعة الله فقد روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله . رواه البخاري ومسلم . وكان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل » رواه أحمد وأبو دواد والترمذي وعن أنس رضي الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين » رواه البخاري ومسلم . وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول : وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل وقس على ذلك بقية الصحابة رضوان الله عليهم بشرخوا بالجنة وهذا هو خوفهم والواحد منا إيمانه لا يجاوز حنجرتة وكأنه في مأمن من عذاب الله . قال مكحول : من عبد الله بالخوف فقط فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجئي ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد . قال بعض السلف لو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل . فلا بد من الخوف من الله لإحراق نار الشهوة ولقطع دابر حب الظهور بالباطل .

الرجاء

اعلم أن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان

بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود ولما كانت الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها وأن القلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة هو يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا مازرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقل أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع . فالانتظار من غير سبب هو عبارة عن حمق وغرور ولذلك قالوا :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها .. إن السفينة لا تجرى على البس

والرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا مالبس إلى اختياره وهو فضل الله سبحانه يصرف الموانع المفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه ماء الطاعات وطهر القلوب من شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى ثباته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره لذلك رجاءً محموداً باعثاً على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت بعكس من قال فيهم ﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ﴾ وذر القائل ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ ولذلك قال معروف : رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق . وهذا شبيه بحالة من ينهمك في المعاصي ثم يقول إن الله غفور رحيم ونسى أن عذابه هو العذاب الأليم . قال الحسن « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما قر في القلب وصدقه العمل وإن قوما غرتهم أمانى المغفرة ذهبوا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل . والأخبار في الرجاء كثيرة منها ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدي بي » متفق عليه . وقال تعالى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (٢) وقال ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ (٣) وعن عمر بن

(١) الزمر : (٥٣) .

(٢) النساء : (٤٨) .

(٣) الأعراف (١٥٦) .

الخطاب رضى الله عنه قال : « قدم على رسول الله ﷺ بسبى فإذا امرأة من السبى تسعى إذ وجدت صبيا فى السبى فأخذه فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار قلنا لا والله فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها » متفق عليه . وأهل الجنة يدخلون صفوفًا مترابطة عددهم مائة وعشرون صفا هذه الأمة عبارة عن ثمانين صفا فلله الحمد والمنة - وفي الحديث « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » رواه مسلم . وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « يا بن آدم إنك ماعدوتى ورجوتى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك . يا بن آدم إنك لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » حسنه الترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتى تغلب غضبى » متفق عليه . وعن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله أصبت حدا فأقمه على فحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله ﷺ فلما قضى الصلاة قال يا رسول الله إني أصبت حدا فأقم فى كتاب الله قال : هل حضرت معنا الصلاة ؟ قال : نعم . قال : قد غفر لك رواه البخارى ومسلم وأحمد . فتأمل هذه الروايات . رحمتك الله لتعرف مدى سعة رحمة الله تعالى فهو لم يخلق الخلق لكى يعذبهم ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ﴾ (١) فهذه النعمة تستدعى شكرا وإيمانا واستقامة على شرعه سبحانه . والعبد فى سفره إلى ربه على أن يستصحب زاد الرغبة والرغبة فبهذا امتدح الله الخالص من عباده فقال ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (٢) يرجون رحمته ويخافون عذابه ولكن ينبغى أن يغلب جانب الخوف فى حال الصحة فإذا نزل به المرض ودنا من الموت فعليه أن يغلب جانب الرجاء لقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » رواه مسلم لأن الرجاء فى هذه الحالة يقوى قلبه ويحبب إليه ربه قال سليمان التيمي عند الموت لمن حضره حدثنى بالرخص لعلى ألقى

(١) النساء (١٤٨) .

(٢) الأنبياء : (٩٠) .

الله وأنا أحسن الظن به . وهكذا تسير النفس الى ربها سيرا معتدلا دون إفراط أو تفريط تتطلع لما عند الله تعالى وتعلم أن الآخرة خير وأبقى وأن الدنيا ما هي إلا متاع الغرور وخير زاد تتزوده في سفرها هو زاد التقوى ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ قال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله ﴾ . روى الترمذى عن ابن عباس قال كنت خلف النبي ﷺ يوما فقال : « يا غلام إني أعلمك كلمات - احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

أتقياء أخفيا

إن الله يحب الأتقياء الأبرار الأخفيا الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يزعجوا ولم يعرفوا مصاييح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة ، فاحرص على طاعة الله فإن ظهر أمرك واشتهر حالك فعش حياة العبودية لربك واصرف هذا الظهور فيما يقربك من مولاك وإلا فكن واحدا من هؤلاء الأفاضل واعلم أن الله سبحانه مطلع ورقيب ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴿ يَوْمَ يَعْثُورُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١) فاتق الله حيثما كنت أى في سر أمرك وفي علانيتك وخف من الله على قدر قربك منك وقدرته عليك فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه الى ملك غيره ورب العزة جل وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر والجزاء من جنس العمل فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادى في أهل السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض » رواه البخارى ومسلم . وروى أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال « سبعة يظلهم

(١) المجادلة : (٦) .

الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم « رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه » وأيضا « رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله » فاحرص على طاعة الله في حلك وترحالك وإقدامك وإحجامك وأقوالك وأفعالك واسأل الله من فضله فلن يهلك على الله إلا هالك .

هل تعرف جلييبا ؟

لا بد وأن يعترينا الحجل إذا كانت الإجابة بالنفي في الوقت الذي تعرفنا فيه على دقائق سير المشهورين من الساسة والزعماء ورجال الأدب والفن وأضعنا الأوقات الكثيرة فيما لا فائدة فيه وكان أحرى بنا وأولى أن نتعرف على هؤلاء الأفاضل الأخيار فذكرناهم تحيي القلوب وكلنا يحتاج لأسوة وقدوة روى مسلم عن أبي برزة أن النبي ﷺ كان في مغازي له فأفاء الله عليه فقال لأصحابه هل تفقدون من أحد قالوا نعم فلاناً وفلاناً وفلاناً ثم قال هل تفقدون من أحد ؟ قالوا نعم فلاناً وفلاناً وفلاناً ثم قال هل تفقدون من أحد قالوا لا قال لكني أفقد جلييبا . فاطلبوه فطلب في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه . فأتى النبي ﷺ فوقف فقال قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه هذا مني وأنا منه . قال فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبي ﷺ . قال فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلا . وقول النبي ﷺ عن جلييب هذا مني وأنا منه معناه المبالغة في اتحاد طريقتهما واتفاقهما في طاعة الله تعالى ولكونه مات شهيدا رضى الله عنه لم يغسل ولم يصل عليه . وهكذا رفع الإسلام جلييباً بينما وضع أبا جهل وأبا لهب . وفي الحديث حث على التعرف على أمثال الصالحين حتى وإن كانوا مغمورين والسؤال عنهم وإبراز فضلهم والاعتراف بقدرهم ويتأكد هذا بصفة خاصة في حق من يقود ويتزعم ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ .

وعن أبي برزة الأسلمي أن جلييباً كان امرأ من الأنصار وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيم (التي لا زوج لها) لم يزوها حتى يعلم النبي ﷺ : هل له فيها

حاجة أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : يا فلان زوجني ابنتك قال : نعم ونعمة عين . قال إني لست لنفسى أريدها قال : لمن ؟ قال لجليبيب قال : يا رسول الله حتى أستأمر (أشاور) أمها . فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك قالت : نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ . قال إنه ليس لنفسه يريدها قالت : فلمن ؟ قال لجليبيب قالت حلقي أجليبيب ؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيبا . فلما قام أبوها ليأتي النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها من خطبني إليكما ؟ قالوا : رسول الله ﷺ قال : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعوني إلى رسول الله ﷺ فإنه لن يضيعني . فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا . قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : أتدرى ما دعا لها به النبي ﷺ ؟ قال : وما دعا لها به النبي ﷺ ؟ قال : اللهم صب عليها الخير صباً صباً ولا تجعل عيشها كداً كداً » رواه الإمام أحمد بسند صحيح ، قال ثابت فزوجها إياه ، فما في الأنصار أيم أنفق منها . قال ابن سعد : وسمعت من يذكر أن جليبيبا كان رجلاً من بني ثعلبة حليفاً في الأنصار . والمرأة التي زوجها النبي ﷺ إياه من بني الحارث بن الخزرج رضى الله عنه . ولسائل أن يسأل مالونه ؟ وما اسم أبيه ؟ وما عمره ؟ كل هذا طوى عنا لكونه لا فائدة فيه وبقي جليبيب علماً من أعلام الصلاح والتقوى ترد سيرته على كل من طلب شهرة زائفة لا خير فيها ولا فائدة معها . ثم احرص على تحقيق معاني الأخوة الإيمانية والافهى لا تقتصر على هؤلاء البارزين ولا بد من السعى في مصالح هؤلاء الأخفياء الذين نتوسم فيهم الصلاح والتقوى وإذا افتخر الناس يوماً بأنهم قابلوا فلانا المشهور وتحدثوا معه أو صافحوه فليكن لك أنت شأن آخر تحرص على تقوى الله وتقترب من أهلها .

وماذا تعرف أيضاً عن ذى البجادين ؟

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له فمات أبوه ولم يورثه شيئاً وكفله عمه حتى أيسر فلما قدم النبي ﷺ المدينة كانت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد ، فقال لعمه : يا عم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً فائذن لى فى الإسلام وقال : والله لئن اتبعت محمداً لا أترك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا نزعته منه حتى ثوبيك قال : فأنا والله متبع محمداً وتارك عبادة

الحجر ، وهذا ما يبدي فحذه فأخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره . فأتى أمه فقطعت بجادا لها بائنين فأتزر بواحد وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان (جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة) فاضطجع في المسجد في السحر (الوقت من آخر الليل) وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فقال : من أنت ؟ فانتسب له وكان اسمه عبد العزى فقال : أنت عبد الله ذو البجادين . ثم قال : انزل مني قريبا . فكان يكون في أضيافه حتى قرأ قرآنا كثيرا فلما خرج النبي ﷺ إلى تبوك قال : ادع الله لي بالشهادة فربط النبي ﷺ على عضده لحي سمرة (من شج الطلح) وقال : اللهم إني أحرم دمه على الكفار فقال : ليس هذا أردت . قال النبي ﷺ : إنك اذا خرجت غازيا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد أو وقصتك دابتك (كسر العنق) فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أياما ثم توفي . قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفا بها وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : « أدنيا إلى أخاكما فلما هياه لشقه في اللحد قال : اللهم إني قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه » فقال ابن مسعود ليتني كنت صاحب اللحد . وعن أبي وائل عن عبد الله قال : والله لكأنني أرى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبر عبد الله ذي البجادين وأبو بكر وعمر يقول أدنيا إلى أخاكما وأخذه من قبل القبلة حتى أسكنه في لحدته ثم خرج النبي ﷺ وولياهما العمل فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعا يديه يقول : « اللهم إني أمسيت عنه راضيا فارض عنه » أخرجه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك وكان ذلك ليلا يقول ابن مسعود فو الله لوددت أنى مكانه ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة . فرضى الله عن ذي البجادين وعن سائر صحابة النبي ﷺ واعلم أن كل صحابي أفضل من كل من جاء بعده سواء كان مشهورا أو غير مشهور .

حُدِير

أورد ابن الجوزي في صفة الصفوة رواية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا فيهم رجل يقال له : حدير وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة (شدة) من قلة الطعام فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يزود حديرا فخرج حدير

صابراً محتسباً وهو فى آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هو يارب فهو يرددها وهو فى آخر الركب . قال : فجاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال له : إن ربى أرسلنى إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حديراً وهو فى آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هو يارب . قال فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض فابعث إليه بزاد . فدعا النبي ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ويقول له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ويخبرك أنه كان نسى أن يزودك وإن ربى تبارك وتعالى أرسل إلى جبريل يذكرنى بك فذكره جبريل وأعلمه مكانك فأنتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلنى إليك بزاد معى ويقول : إني إنما نسيتك فأرسل إلى جبريل من السماء يذكرنى بك قال : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال : الحمد لله رب العالمين ذكرنى ربى من فوق سبع سماوات ومن فوق عرشه ورحم جوعى وضعفى يارب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك . قال فحفظ ما قال ورجع إلى النبي ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه وبما قال حين أخبره فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نورا ساطعاً ما بين السماء والأرض .

سعيد بن عامر

أسلم قبل خير وشهدا مع رسول الله ﷺ وما بعدها . أرسل إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء فسر بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم . فقال : يا عمر لا تفتنى فقال عمر : والله لا أدعكم جعلتموها في عنقى ثم تخليتم منى . ثم استعمله على حمص وقال له ألا تفرض لك رزقا ؟ قال : قد جعل الله تعالى فى عطائى ما يكفينى دونه أو فضلاً على ما أريد . وعن حسان بن عطية قال : لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبى سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حزم

الجمحي . قال : فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه قال : فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة . قال : فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار . قال : فدخل بها على امرأته فقال : إن عمر بعث إلينا بما ترين . فقالت : لو أنك اشتريت أدماً وطعاماً وادخرت سائرهما فقال لها : أولاً أدلك على أفضل من ذلك ؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه قالت : فنعلم إذا فاشترى أدماً وطعاماً واشترى غلامين وبعيرين يمتران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة . قال : فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته إنه قد نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشترت لنا مكانه . قال فشكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته الا من ليل إلى ليل قال : وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله . فقال لها : ماتصنعين ؟ إنك قد آذيت إنه قد تصدق بذلك قال : فبكت أسفاً على ذلك المال . قال : ثم إنه دخل عليها يوماً فقال على رسلك إنه كان لى أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أنى صددت عنهم وإن لى الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها ، فلأنت فى نفسى أخرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال : فسمحت ورضيت . وعن خالد بن معدان قال : استعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم . فلما قدم عمر حمص قال يأهل حمص كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص الكويصة الصغرى لشكايتهم العمال . قالوا : نشكوا أربعا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال : وماذا ؟ قالوا : له يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا . قال عظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل . قال وعظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا يغنظ الغنظة بين الأيام أى تأخذه موة . قال : فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لاتقيل رأى فيه اليوم ماتشتكون منه ؟ قالوا لا يخرج حتى يتعالى النهار قال : والله إن كنت لأكره ذكره إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجبتهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال : ماتشتكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل . قال مايقولون ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره . إني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال : وما تشكون منه ؟ قالوا :

إن له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه قال : ما يقولون ؟ قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال : ماتشكون منه ؟ قالوا يغظ الغنظة (أشد الكرب والجهد) بين الأيام قال : ما يقولون ؟ قال شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع فقالوا : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً شريك بشوكة . ثم نادى : يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصييني تلك الغنظة فقال عمر : الحمد لله الذي لم يفيل فراستي . فبعث إليه بألف دينار وقال استعن بها على حاجتك ، فقالت امرأته الحمد لله الذي أغنانا عن خدمتك فقال لها : فهل لك في خير منه ذلك ندفعها إلى من يأتيها بها أحوج مانكون إليها . قالت : نعم فدعا رجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً ثم قال انطلق بهذه إلى أرملة فلان وإلى مسكين آل فلان وإلى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهبية فقال : أنفقى هذه ثم عاد إلى عمله فقالت : ألا تشتري لنا خادماً مافعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوج ماتكونين - وقد مات سعيد بن عامر رضي الله عنه في سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنه . ونسأل الله تعالى أن يمتتنا على محبة صحابة النبي ﷺ وأن يحشرنا في زمرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أويس بن عامر القرني

روى مسلم عن أسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد قال إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهب عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ، قال النووي « قوله وفيهم رجل يسخر بأويس أي يحقره ويستهزئ به وهذا دليل على أنه يخفى حاله ويكتُم السر الذي بينه وبين الله عز وجل ولا يظهر منه شيء يدل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضي الله عنهم » ١ . هـ وعن عمر بن الخطاب قال إني

سمعت رسول الله ﷺ يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم وفي رواية أخرى قال لعمر فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل وهذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم . وروى مسلم أيضا عن أسير بن جابر قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن . قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال نعم قال لك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال عمر أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلي عاملها قال أكون في غرباء الناس (أى ضعافهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إثارتكم حاله وترك الشهرة) أحب إلى قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرفهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويسا فقال استغفر لي قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال استغفر لي قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لي قال لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة « وفي قصة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ وفيها التصريح بفضل أويس القرني وأنه خير التابعين قال النووي « وقد يقال قد قال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب أن مرادهم أن سعيدا أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا في الخير عند الله تعالى وفي هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضا « ١ . هـ ويذكر أن أويسا ارتقى يوما درج مسجد الكوفة ثم قال يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نتم وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم وقد سماه الشاطبي سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة ويصفه

الذهبي بأنه (القدوة سيد التابعين في زمانه) وكان أحمد بن حنبل يضرب به المثل في الزهد فيقول لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد في قوصرة . وكان أويس يقول : بلغني أن لله عبادا سجدوا أبدا « وكان يقول « لأعبدن الله في الأرض كما تعبدنه الملائكة في السماء . وكان يقول أيضا « يا عجباً ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما . وكان ينصح هرم بن حيان بلزوم الجماعة يقول له « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك « وكان يعتذر إلى ربه ويقول « اللهم إني أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عارى فإنه ليس في بيتي من الطعام إلا ما في بطني وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهري ، ولم يكن على ظهره حينئذ إلا خرقة وكان يقول « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقا « فرحمه الله رحمة واسعة » .

الخاتمة

ونحن نعيش هذه الغربة المستحكمة والمتمثلة في الشرود عن منهج الله وما تبع ذلك من اختلال الموازين وجنى ثمار المذلة والمهانة والنكد فمن المعلوم أن لكل مقدمة نتيجة ولكل عقيدة تأثير ولا سعادة للأفراد والجماعات إلا بالاستقامة على منهج ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١) وبمقدار الانحراف عن هذا المنهج الرباني بمقدار التعاسة التي تصيب البشرية ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (٢) وقد توهم أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا أن التطور والتقدم يحدث عندما نأخذ ما عليه الشرق والغرب من فلسفات وعلوم وفنون أو بأن نقب عن الحفريات القديمة لنؤكد انتساب المصريين إلى الفراعنة وأن هذه الأمة أمة فرعونية وأن غيرها من المسلمين ينتسب إلى الآشورية أو البابلية أو الفينيقية !! هكذا تمزيقاً لأواصر هذه الأمة وإبعاداً لها عن دينها الذي ارتضاه ربها لها ، وقد ظن فريق آخر أن اللعب من ملذات الحياة المادية وأن الانتقال من فيلم إلى أغنية ومن شهوة إلى أخرى سيحقق لها ما يصبون إليه من سعادة ويكونون بذلك قد عاشوا حياتهم واستمتعوا بها وكانوا في واقع الحال يعيشون حياة البهائم السائمة ينتقلون من كرب إلى غم وهم في ذلك كله كالمستجير من الرمضاء بالنار بل هذه البهائم قد تفضلهم لأنها تعرف لها رباً وخالقاً تسبحه ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (٣) فالمشاكل تعترضهم والأعداء من اليهود وغيرهم على أبوابهم. ثم كانت هذه الصحوة المباركة التي تعرفت على الداء والدواء وعلمت أن ذاء الأمة والذي انبثقت منه أعراض الأمة المرة إنما يكمن في الإعراض عن منهج الله ، ودوائها عبارة عن الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً والاستمسك بحبل الله المتين دون إفراط أو تفريط مع تقديم الأهم على المهم ومراعاة مقتضى الحال . وقام بعض الدعاة - جزاهم الله خيراً - يردون الأمة رداً جميلاً لدينها ويصرونها بتوحيد الله عز وجل وبأهمية الاتباع لسنة رسول الله ﷺ وأن تزكية الأفراد والجماعات ونيل

(١) طه (١٢٣) .

(٢) طه (١٢٤) .

(٣) الإسراء (٤٤) .

رضوان الله عز وجل لا يمكن أن يحدث دون توحيد واتباع . وتطرق الحديث إلى بيان المستحبات والواجبات كإطلاق اللحية وارتداء المرأة للجلباب الشرعى وهنا ثارت ثائرة البعض ممن فهم الإسلام فهما مغلوفا فقال كيف تتحدثون فى تحريم الغناء والموسيقى وحلق اللحية ... واليهود على الأبواب والأمة تعاني من مشاكل اقتصادية خانقة وظن هذا الفريق أنه قد ألقم شباب الصحوة حجرا وقد أحسن صنعا بقوله ذلك ويحسن بنا قبل أن نجيب عن هذه الشبهة أن نورد بعض النصوص الشرعية لتكون فيصلاً فى محل النزاع ﴿ فَإِنْ تَزَاوَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (١) قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (٢) وأصل وأساس التقوى أن يلتزم العبد الواجبات وأن يترك المحرمات وتماها يكون بالتزام المستحبات وترك المكروهات . وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (٣) قال سفيان بن عيينة لما أخذوا برأس الأمر (أى بالصبر واليقين) جعلهم ربنا رؤوساً (أى أئمة) وأمر الله يشمل الواجبات والمستحبات ولا يتصور فيمن أخذ برأس الأمر أن يتهاون فى المستحبات . وعن أبى عمرو جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « كنا فى صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة مجتابى النمار - أو العباء - متقلدى السيوف عامتهم بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى منهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلال فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ (٤) إلى آخر الآية ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٥) والآية الأخرى التى فى الحشر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَقْدَمْتُ لَعْدٍ ﴾ (٥) تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمره فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها - بل قد عجزت - ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهب فقال رسول الله ﷺ من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من

(٣) الأنبياء (٧٣) .

(٢) الفرقان (٧٤) .

(١) النساء (٥٩) .

(٥) الحشر (١٨) .

(٤) النساء (١) .

عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء رواه مسلم . والصدقة مشروعة وهذا الصحابي الجليل أبدأ هذه الشعيرة وتتابع الناس على هذا الفعل المسنون ومعلوم أن السنة هي طريقة النبي ﷺ المحمودة بأن سلكها هو والصحابة من بعده أو هي كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة يقصد بها التشريع للأمة والسنة تشمل الواجبات والمستحبات . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم . وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من دل على خير فله مثل أجر فاعله » رواه مسلم . وفي حديث سهل بن سعد الساعدي قال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً من حمر النعم » متفق عليه فمن يزهد بعد ذلك في هذا الثواب ومالذي يمنعه من إبلاغ الحق إلى الخلق وبيان المستحبات والواجبات للناس وقد قال سبحانه : ﴿ وَإِذْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ (٢) وكلمة الخير تشمل كل ما ندبنا إليه الشرع وحثنا عليه . وعن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم فإن لم تكن النصيحة بالواجبات والمستحبات فبأي شيء تكون وما معنى كلمة الإسلام ، هذا الدين الذي تشرف جميعاً بالانتساب إليه ، ومتى كان الإسلام كلمة هلامية لا معنى لها ولا مضمون ؟ بل وما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي ورد في مواضع عديدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مثل قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٣) ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (٤) ﴿ لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ (٥) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) المائدة (٢) .

(٢) آل عمران (١٠٤) .

(٣) المائدة (٧٨) .

(٤) التوبة (٧١) .

(٥) آل عمران (١١٠) .

يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من نبي بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم والمعروف يشمل الواجب والمستحب ، والمنكر يشمل المحرم والمكروه ، ولذلك قال النبي ﷺ : نعم الرجل عبد الله لو كان يقوم من الليل ومعلوم أن قيام الليل مستحب ليس بواجب وقال يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل ثم تركه وقد أنكر ابن عباس رضى الله عنهما على من كفت شعره داخل العمامة فسدله له وبذلك استدلل الإمام النووي على جواز الإنكار باليد على من ارتكب مكروها وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو إنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » رواه البخارى وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤديه إليك إلا مادمتم عليه قائماً ﴾ قال القرطبي من حفظ الكثير وأداه فالقليل أولى ومن خان فى اليسير أو منعه فذلك فى الكثير أكثر » وطاعة الله هى سبب كل خير وسعادة والمعصية هى سبب كل شر وبلاء قال تعالى : ﴿ ولوأنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴾ (١) وقد بين ربنا جل وعلا خطورة الربا فقال سبحانه وتعالى ﴿ يمحق الله الربا ويربى الصدقات ﴾ (٢) وفى الحديث « وإياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » رواه مسلم بل وكيف نتصر على الأعداء ونحقق الرخاء ونحن نعمل بالمعاصى ومعلوم أن المعصية وهن فى القلوب وتفرق فى الصفوف ومحق بركة العمل قال تعالى ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم

(٢) البقرة (٢٧٦) .

(١) المائدة (٦٦) .

القيامة) (١) وهل أمثال هؤلاء سيكونون مجتمعاً صالحاً منتجاً مثلاً!! وكان سلف الأمة رضوان الله عليهم إذا تأخر عنهم النصر كانوا يبحثون ويفتشون في أنفسهم لعلهم تخلفوا عن سنة كسنة السواك فتأخر عنهم النصر بسبب ذلك ورب العزة جلا وعلا يقول: ﴿إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٢) فليكن ههنا هو تعظيم حرمان وشعائر الله عز وجل وذلك لأن التهاون في المستحبات يجر إلى التهاون في الواجبات والإقدام على المكروهات قد يجر إلى موقعة المحرمات والولوج فيها . وتقديم الأهم على المهم ليس معناه احتقار طاعة من الطاعات وذلك لأن المهم الذي أخرناه لمقتضى الحال لا يزال مهما قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٣) قال هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وخلاصة القول أنه لا بد من علم وعمل ودعوة وصبر على هذه المعاني جميعاً مع مراعاة شمول الشريعة لجميع جوانب الحياة ومع الحرص على الجمع بين المصالح جميعاً والالتزام بجميع الطاعات الواجب منها والمستحب والإقلاع عن المحرمات والمكروهات فإذا لم يكن الجمع قدماً الواجب على المستحب والتمنا أعظم المصلحتين والمنفعتين بترك أدناهما وفوتنا أعظم المضرتين والمفسدتين بالتمنا أدناهما - وحسبنا أن نكون قد تكلمنا في بعض المسائل والقضايا التي عمت بها البلوى ووضحنا معنى الشهرة ومجالاتها والآفات التي تصاحبها غالباً وكيف يتم صناعة المشاهير والطريق الذي تتم به سعادة الدارين فإن كنت قد أصبت فذلك بتوفيق الله وفضله وإن كنت قد أخطأت فذلك من نفسي ومن الشيطان والله منه برىء والمصيب هو من وافق الكتاب والسنة في حكمه على نفسه وعلى الأشياء من حوله سواء في ذلك أجمل معنى أو بسطه ، والإسلام كان ولا يزال صالحاً لكل زمان ومكان ، والمستجدات والتطورات لها حكمها في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وهذا هو دور علماء الأمة الاعتباريين في تطبيق الحكم الشرعي على واقعه المناسب والمساوي له ولذلك لا يصح القول بإغلاق باب الاجتهاد فهذا الباب سيظل مفتوحاً لكل من تأهل وأخذ بأسباب وأدوات الاجتهاد . والله نسأل أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم وألا يجعل لأحد فيه شيئاً وأن ينفعنا بما علمنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) المائدة (١٤) .

(٢) محمد (٧) .

(٣) آل عمران (٧٩) .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
١٠	الشهرة ومشتقاتها
١٢	السبق والمنافسة
١٧	بعض صور الشهرة
١٩	مراتب الهداية
٢٥	أسماء الأنبياء والرسل مرتبة حسب تواريخ نزولهم
٢٥	الفرق بين النبي والرسول
٢٨	وجوب دخول اليهود والنصارى والناس كافة فى دين الإسلام
٣٥	عالم الملائكة والبشر
٣٧	أنواع العلوم
٣٩	بيان ماهو فرض عين وفرض كفاية
٤١	المعلوم من الدين بالضرورة
٤٣	فضل العلم ومنزلة العلماء
٤٤	هل المسلم مطالب باتباع مذهب عالم من العلماء المشهورين
٤٧	القرار التاسع بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي
٤٩	ولاية الله والطريق إليها
٥١	قاعدة فى المعجزات والكرامات
٥٥	خوارق غير الأولياء
٥٩	ثانيا العلوم الكونية
٦١	العلوم الرياضية
٦٨	الشهرة بالشر والفساد
٦٩	عالم الجن والشیاطین

٧٠	علماء السوء
٧٢	الشهرة بالمال
٧٣	الشهرة بالجاه والسلطان
٧٦	الشهرة بالجمال
٧٨	الشهرة بالرياضة
	القرار الثالث من قرارات مجلس الجمع الفقهي الإسلامي بشأن موضوع الملاكمة
٨٢	والمصارعة الحرة ومصارعة المثيران
٨٤	فتوى اللجنة في كرة القدم
٨٥	الشهرة بالأدب
٨٨	القرار الثاني بشأن الرواية التي كتبها المدعو سلمان رشدي
٩٠	الشهرة بالفن
٩١	حكم الرسم والتصوير والنحت
٩٥	فتاوى هامة تتعلق بالتصوير
٩٦	حكم الموسيقى والغناء
٩٩	صور مباحة من الغناء
١٠١	فتاوى هامة تتعلق بالموسيقى والغناء
١٠٤	حكم الرقص
١٠٧	حكم التمثيل
١١٠	التمثيل الديني
١١٤	حكم الأماكن المشهورة
١١٧	دخول ديار الهلكى والمعذبين (زيارة الآثار)
١١٩	لعنة الفراعنة
١٢١	الزيارة الشرعية والزيارة البدعية
١٢٤	تحذير من اتخاذ القبور مساجد
١٢٩	وذكرهم بأيام الله

الصفحة	الموضوع
١٣١	مخالفة أصحاب الجحيم فى أعيادهم
١٣٣	بدعة عيد مولد النبى صلى الله عليه وسلم
١٣٤	كيف تجهل شهر ذى القعدة وذى الحجة ونعرف مارس وأبريل
١٣٧	آدم أول من تكلم باللغات كلها
١٣٨	العامية دعوة تغريبية ومعرفة العربية فرض واجب
١٤٠	أسباب الشهرة وصناعة المشاهير
١٤٢	صلة الرحم سبب بقاء الذكر الجميل
١٤٦	سبب شهرة الأئمة الأربعة
١٤٧	كثرة القراء والسبب فى الاختصار على السبع
١٤٨	ميكيافيللى أحد صناع الشهرة الزائفة
١٤٩	كيف صنعوا المشاهير ببلادنا
١٥٣	آفات الشهرة
١٦٤	تقديم المفضل على الفاضل بسبب الشهرة
١٦٥	حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا
١٦٨	موعظة وتذكرة
١٧٤	حياة العبودية لهم خير لو كانوا يعلمون
١٧٦	الإخلاص
١٧٨	الإتباع
١٨١	محبة الله تعالى
١٨٤	الخوف من الله
١٨٦	الرجاء
١٨٩	أتقياء أخفياء
١٩٠	هل تعرف جليبيبا
١٩١	وماذا تعرف أيضا عن ذى البجادين
١٩٢	حدير

الصفحة	الموضوع
١٩٣	سعيد بن عامر
١٩٥	أويس بن عامر القرني
١٩٨	الخاتمة
٢٠٣	الفهرس